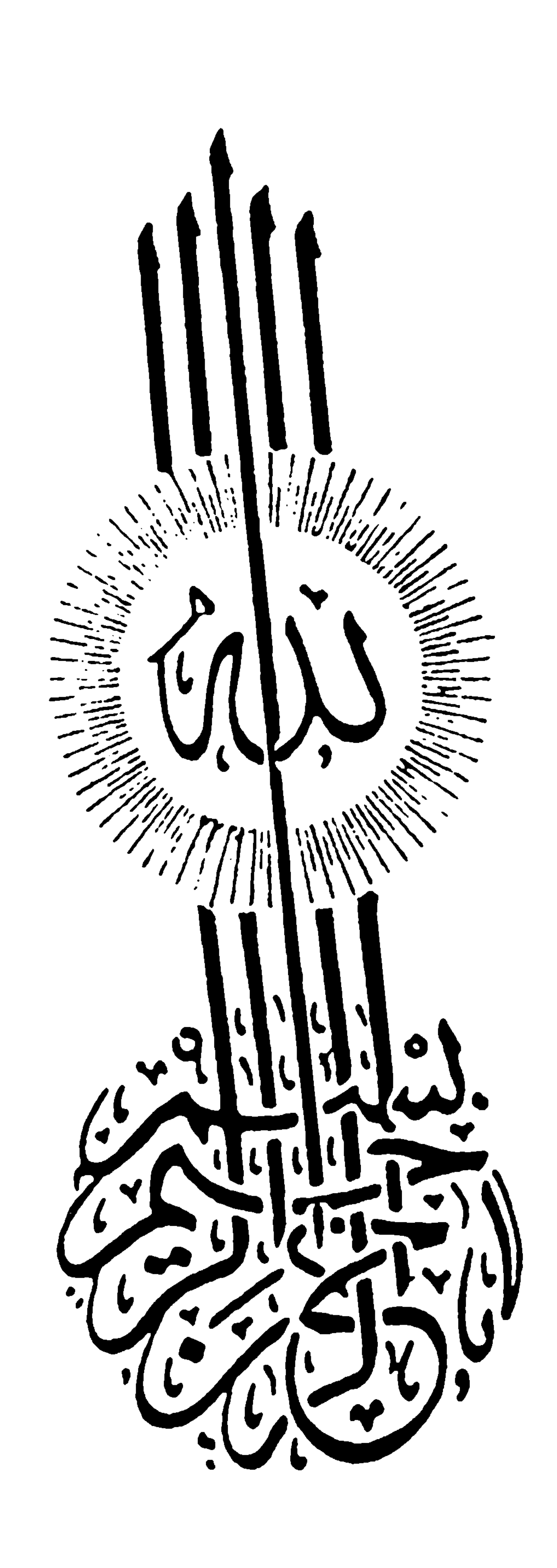

ثورة الغضب
مقاتل قتلة الحسين
تأليف
ماجد الزبيدي
مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتجارة
THE ARABIC HISTORY Est.
For Printing and Publishing & Tradiug



الغضب الإلهي

مقاتل قتلة الحسين


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الغضب الإلهي

مقاتل قتلة الحسين

ما جرى بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)

تأليف

الشيخ ماجد ناصر الزبيدي



مؤسسة التاريخ العربي

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

THE ARABIC HISTORY
Publishing & Distributing

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف ٥٤٠٠٠٠ - ٥٤٤٤٤٠ فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص.ب.٧٩٥٧/١١

Beyrouth - Liban - Rue Dakl.ache - Te!: 540000 - 544440 Fax: 850717 P.O.box 7957/11

E-mail: datcta@cyberia.net.lb

الإهداء.........

إلى كل ثائر من أجل الحق ......

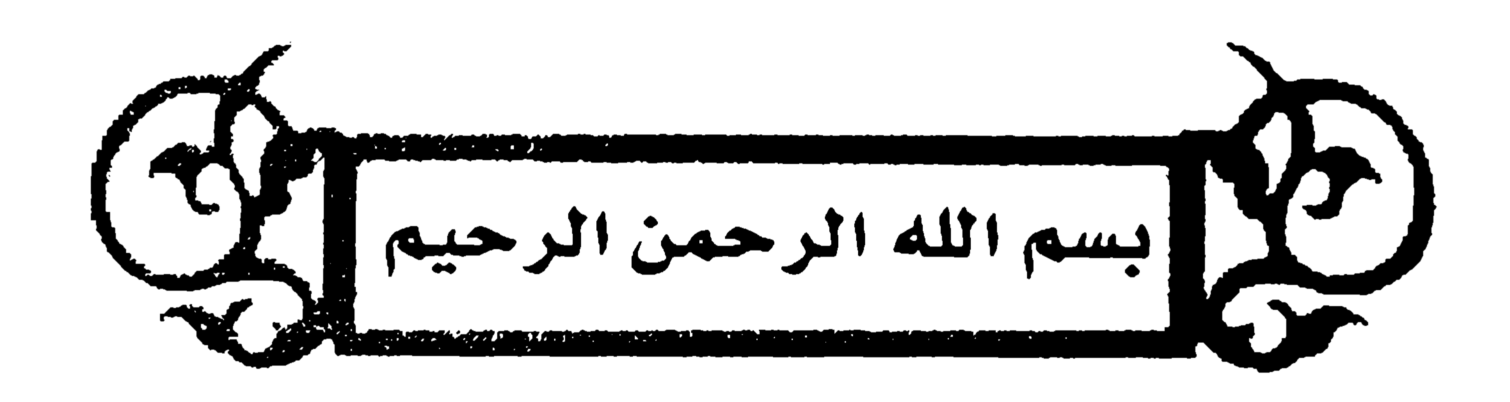
إلى كل ثائر من أجل إحياء دين الله......

إلى شهداء الطف ......

إلى شهداء الثورة الشعبانية ......

أُهدي عملي المتواضع .... سائلين الله أنْ يُسددنا إلى الصواب.

المؤلف



- المقدمة -

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد......

لقد تعددت الثورات بعد إستشهاد الإمام الحسين(ع) على بني أمية وكان عدد كبير منها يحمل شعار« يا لثارات الحسين » لكن ليس الجميع يطلق هذا الشعار من القلب إلاّ عدد قليل منها ومن هذا العدد حركة المختار الثقفي الذي لم يُفكر التاريخ بمعرفة هذا الرجل حق معرفة، فحاولوا تلصيق التُهم الباطلة به على الرغم من وضوح ثورته وضوح الشمس ووضوح نتائجها أيضاً.

قيل فيه بأنه إتخذ هذا الشعار لكي يكسب ميول الشيعة إليه وينال

مراده ونسوا هو منهم ومن موالين آل بيت النبي(ع)، وقيل كلام كثير لكن ذلك لا يؤثر بشيء على الجوهرة النقية وإنْ دنسوا عوارضها لذا أرتأيت أنْ أذكر حركة التوابين وثورة المختار التي أسميتها بثورة الغضب ويجب أنْ أوضح للقارئ الكريم بأنّ هذا الغضب من أقسام الغضب المحمود، وبصورة أوضح أُقدّم هذا التمهيد لكي يكون أكثر وضوحاً:

ما هو الغضب؟

هو إستجابة لإنفعال تتميّز بالميل إلى الإعتداء. والغضب شعلة من نار وإرتفاع حرارة الإنسان المختفية داخله فيفور الدم ويغلي ويرتفع حتى يحمّر وجهه وعيونه.

أثار الغضب

وللغضب أثار معينة، نذكر منها:

١-تغير اللون

٢-شدّة الرجفة في الأطراف

٣-خروج الأفعال عن الترتيب والنظام.

٤-إضطراب الحركة والكلام

٥-احمرار العين وخروج الزباد من الفم.

أثار الغضب على اللسان

إنطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام بحيث يخجل الإنسان منه إذا كان هادئاً.

أثار الغضب على الأعضاء

ضرب الآخرين والهجوم عليهم وقد يصل إلى حد قتل الآخرين ولكن بعد فتور الغضب يعلم الإنسان عظيم ما جنى على نفسه.

أثار الغضب على القلب

١-الحسد والحقد على الآخرين

٢-العزم على إفشاء سر الآخرين

٣-وحتى إذا كتم الإنسان غيظه لعدم إستطاعته الإستمرار في الغضب تحوّل ذلك إلى حقد دفين في قلبه يؤدي به إلى كره المغضوب عليه وإستغابته وهتك أسراره وقطيعته والإستهزاء به.

فعن الإمام الصادق(ع) قال: ما من جرعة يجرعها العبد أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبد إلاّ ملأ جوفه أمناً وإيماناً [1].

---

(١) الكافي.

وقال أحد الحكماء: مَن أطفأ نار الغضب وقاه الله ناره .

كيفية عِلاج الغضب

١-أنْ يستعيذ الغاضب بالله تعالى من الشيطان الرجيم «أعوذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم» فأشد جنود إبليس الغضب. والغضب مفتاح كل شر وقد وجد في التوراة مكتوباً: يا بن آدم أذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب ....

٢-أنْ يغيّر الغاضب الحالة التي هو بها فيجلس إذا كان قائماً وينام إنْ كان جالساً ويمشي إذا كان واقفاً وإذا غضب فليسكت.

٣-الذهاب للوضوء أو يستحم بالماء لأن الغضب حرارة في الإنسان.

٤-أن يفكر الغاضب في فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم ويقرأ آيات من القرآن الحكيم متعلقة بكظم الغيظ، كقوله تعالى: ﴿فأعف عنهم وأصفح إنّ الله يُحب المحسنين[1]. وقوله تعالى: ﴿فمَن عفا وأصلح فأجره على الله﴾[2].

٥-أنْ يتذكر الغاضب العذاب العظيم وسوء عاقبة الغضب في الدنيا والآخرة.

---

(١) المائدة/١٣.

(٢) الشورى/٤٠.

٦-يُحاول الإنسان أنْ لا يغضب حتى لا يلجأ إلى ذل الإعتذار بعد فتور الغضب وأنْ يفكر فيما يؤدي إليه الغضب من الندم والإنتقام والهموم والغموم.

٧-يُحاول الإنسان أنْ يزيل الأسباب المهيجة للغضب.

٨-أنْ يترك الغاضب طريقاً للعودة إلى الصلح والمودة .. قال تعالى: ﴿أدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾(١).

الغضب المحمود

الغضب المحمود، أنْ يغضب الإنسان في أحوال معينة منها:

١-يغضب حماية لدينه (خصوصاً إذا إستهزئ أحداً به).

٢-يغضب لعرضه غيرةً منه وشهامةً وحميةً

٣-يغضب في حرب أعداء الله والرسول والأئمة الأطهار(ع).

٤-يغضب لإصلاح اللئيم والفاسد، قيل: أنّ العفو يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم.

٥-يغضب حيث يرى المُنكر فبغضبه يمنع المُنكر، فإذا أمن أصحاب المُنكر الغضب من المؤمنين إزدادوا في فعل المُنكر.

فعن الإمام الصادق(ع) قال: المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه من

---

(١) فصلت/٣٤.

حق وإذا رضى لم يدخل رضاه في باطل، والذي إذا قدر لم يأخذ أكثر مما له[١].

لو دققنا النظر في غضب هذه الثورة لنجدها جامعة لجميع نقاط الغضب المحمود، فالمختار غضب لحماية الدين من بني أُمية فهو غضب لحماية عرضه وحماية آل بيت النبي(ع) والطلب بثأرهم لما فعلوه بهم: فهو غضب لإصلاح الفاسد وغضب لأنه رأى المعروف منكراً والمنكر معروفاً. والحمد الله رب العالمين ......

الشيخ ماجد الزبيدي

٢٨/محرّم/١٤٢٥هـ

بيروت/ حارة حريك

---

(١) (البحار/الجزء ٧٨).

التوابون وثأر الحسين

لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة تلاقوه أهل الكوفة بالتلاوة والمنادمة[١] ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيراً بدعائهم الحسين وتركهم نصرته. وإجابته حتى قتل إلى جانبهم، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عليهم إلاّ قتل من قتلته والقتل فيهم ، فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤساءهم إلى سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة وإلى المسيب بن نجبة الفزاري وكان من أصحاب علي(عليه السلام)، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله بن وأل التيمي تيم بكر بن وائل، وإلى رفاعة بن شداد البجلي وكانوا من خيار أصحاب علي(عليه السلام)، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي فبدأهم المسيب بن نجبة فقال بعد حمد الله: أما بعد فإنّا ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غداً: (أولم نعمركم ما يتذكّر فيه

---

(١) في الطبري بالتلاوم والتنديم.

من تذكر وجاءكم النذير) فإن أمير المؤمنين عليّاً قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا فوجدنا الله كاذبين في كل موطن من مواطن ابن بنت نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله وأعذر إلينا فسألنا نصره عوداً وبدءاً وعلانية فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ، ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا، وقد قتل فينا ولد حبيبه وذريته ونسله لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله ، والموالين عليه أو تقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنّا عند ذلك ولا أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن ، أيها القوم ولوا عليكم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفون بها.

وقام رفاعة بن شدّاد وقال : أما بعد فإن الله قد هداك لأصوب القول وبدأت بأرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فمسموع منك مستجاب إلى قولك ، وقلت : ولوا أمركم رجلاً تفزعون إليه وتحفون برايته ، وقد رأينا مثل الذي رأيت فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً وفينا منتصحاً وفي جماعتنا محبوباً، وإن رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وذا السابقة والقدم

سليمان بن صرد الخزاعي المحمود في بأسه ودينه الموثوق بحزمه ، وتكلّم عبد الله بن سعد بنحو ذلك وأثنينا على المسيب . وسليمان ، فقال المسيب : قد أصبتم فولوا أمركم سليمان بن صرد ، فتكلم سليمان فقال بعد حمد الله: أما بعد فإني لخائف أن لا يكون أخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية ، وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير ، إنّا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم نمنيهم النصر ونحثهم على القدوم ، فلما قدموا ونينا وعجزنا وأدهنا وتربّصنا حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه ، إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطى اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريئة للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه . ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أظنّه راضياً دون أن تناجزوا من قتله ، ألا لا تهابوا الموت فما هابه أحد قط إلاّ ذل وكونوا كبني إسرائيل إذ قال لهم نبيّهم : إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ، ففعلوا وجثوا على الركب ومدّوا الأعناق حين علموا أنهم لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا القتل فكيف بكم لو دعيتم إلى ما دعوا ، أحدّوا السيوف وركّبوا الأسنّة ، وأعدّوا لهم ما استطعتم من القوّة ومن رباط الخيل ، حتى تدعوا وتستنفروا ، فقال خالد بن سعد بن نفيل ، أمّا أنا فوالله لو أعلم أنّه

ينجيني من ذنبي ويرضى ربّي عنّي قتلي نفسي لقتلتها ، وأنا أشهد كل من حضر ، أن كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي صدقة على المسلمين أقويهم به على قتال الفاسقين . قال أبو المعتمر بن حنش بن ربيعة الكناني مثل ذلك ، فقال سليمان : حسبكم من أراد من هذا شيئاً فليأتِ به عبد الله بن وأل التيمي فإذا اجتمع عنده كل ما تريدون إخراجه جهّزنا به ذوي الخلة والمسكنة من أشياعكم ، وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه إلى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالمدائن فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فأجابوا إلى ذلك ، فكتبوا إلى سليمان بن صرد يعلمونه أنّهم على الحركة إليه والمساعدة له وكتب سليمان أيضاً كتاباً إلى المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة مثل ما كتبوا إلى سعد بن حذيفة فأجابه المثنى أننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه ونحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت ، وكتب في أسفل الكتاب :

تبصر كأنّي قد أتيتك معلماً
على أتلع الهادي أجشّ هزيم
طويل القرى نهد الشواءِ مقلص
ملح على فأس اللجام أزوم

بكلّ فتى لا يملأ الروعُ قَلْبَهُ

مِحشٍّ[1] لنارِ الحربِ غير سؤومِ

أخي ثقةٍ ينوي الإله بسعيهِ

ضروبٍ بنصلِ السَّيْفِ غير أثيمِ

فكان أوّل ما ابتدؤوا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة إحدى وستين فما زالوا بجمع آلة الحرب ودعاء الناس في السر إلى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم النفر بعد النفر، ولم يزالوا على ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين . فلما مات يزيد جاء إلى سليمان أصحابه فقالوا : قد هلك هذا الطاغية والأمر ضعيف فإنْ شئت وثبنا على عمرو بن حريث وكان خليفة إبن زياد على الكوفة ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم ، فقال سليمان بن صرد : لا تعجلوا إني قد نظرت فيما ذكرتم ، فرأيت أنّ قتلة الحسين هم أشراف الكوفة ، وفرسان العرب ، وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم ، ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزراً لعدوهم ولكن بثوا دعاتكم في المصر وادعوا إلى أمركم هذا شيعتكم وغير شيعتكم ففعلوا

---

(١) المحش بالشين المعجمة جديدة تحش بها النار أي تحرك.

واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد.

ثمّ أنّ أهل الكوفة أخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لإبن الزبير . وسليمان وأصحابه يدعون الناس ، فلما مضت ستة أشهر بعد هلاك يزيد قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة في النصف من رمضان[1] وقدم عبد الله بن يزيد الأنصاري أميراً على الكوفة من قِبل إبن الزبير لثمان بقين من رمضان ، وقدم إبراهيم بن محمد بن طلحة معه على خراج الكوفة ، فأخذ المختار يدعو الناس إلى قتال قتلة الحسين ويقول : جئتكم من عند محمد بن الحنفية وزيراً أميناً فرجع إليه طائفة من الشيعة وكان يقول : إنما يريد سليمان أنْ يخرج فيقتل نفسه ومَن معه وليس له بصرة بالحرب ، وبلغ الخبر عبد الله بن يزيد بالخروج عليه بالكوفة في هذه الأيام وقيل له ليحبسه وخوف عاقبة أمره إنْ تركه ، فقال عبد الله: إنْ همّ قاتلونا قاتلناهم وإنْ تركونا لم نطلبهم إن هؤلاء القوم يطلبون بدم الحسين بن علي فرحم الله هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ظاهرين وليسيروا إلى مَن قاتل الحسين فقد أقبل إليهم -يعني إبن زياد- وأنا لهم ظهير هذا إبن زياد قاتل الحسين وقاتل أخياركم وأمثالكم قد توجه إليكم وقد فارقوه على ليلة من جسر منبج فالقتال والإستعداد إليه أولى من أنْ تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضاً فيلقاكم عدوكم وقد

---

(١) عند الطبري اليوم الذي قدم فيه المختار وهو يوم الجمعة.

ضعفتم وتلك أمنيته، وقد قدم عليكم أعدى خلق الله لمن من ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين ، هو الذي من قبله أتيتم والذي قتل مَن تنادون بدمه(١) قد جاءكم فإستقبلوه بحدكم وشوكتكم وإجعلوها به ولا تجعلوها بأنفسكم إني لكم ناصح ، وكان مروان قد سير إبن زياد إلى الجزيرة ثم إذا فرغ منها سار إلى العراق. فلما فرغ عبد الله بن يزيد من قوله قال إبراهيم بن محمد بن طلحة : أيها الناس لا يغُرَّنكُم من السيف والغشم مقالة هذا الداهن ، والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن إستيقنا أنّ قوماً يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده والحميم والعريف بما في عرافته حتى يدينوا للحق ويذللوا للطاعة ، فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال : يا ابن الناكثين(٢) أنت تهددنا بسيفك وغشمك أنت والله أذل من ذلك إنا لا نلومك على بُغضنا وقد قتلنا أباك وجدك وأما أنت أيها الأمير فقد قلت قولاً سديداً فقال إبراهيم : والله لتقتلن وقد أدهن هذا -يعني عبد الله بن يزيد- فقال له عبد الله بن وأل : ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا ما أنت علينا إنما أنت أمير هذه الجزية فأقبل على خراجك ولئن أفسدت أمر هذه الأمة فقد أفسده والداك وكانت عليهما دائرة السوء ، فشتمهم جماعة ممن مع إبراهيم

---

(١) في الطبري «هو الذي فتلكم ومن قبله أو تيتم والذي قتل مَن تثأرون بدمه».

(٢) في الأصل «إبن الساكنين وهي غلط».

فشتموه فنزل الأمير من على المنبر وتهدده إبراهيم بأنه يكتب إلى إبن الزبير يشكوه فجاءه عبد الله في منزله وإعتذر إليه فقبل عذره، ثمّ أنّ أصحاب سليمان خرجوا يشترون السلاح[١] ظاهرين ويتجهزون.

(١) في الطبري «ينشرون السلاح» ولعلها أظهر.

قدوم المختار الكوفة

عندما بعث الحسين(عليه السلام) مسلم بن عقيل إلى الكوفة كان المختار في قرية له تدعى لفغا[١] فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر أنه قد ظهر ولم يكن خروجه عند ميعاد كما سبق ، فأقبل المختار في مواليه فانتهى إلى باب الفيل بعد المغرب ، وقد أقعد عبيد الله بن زياد عمرو بن حريث بالمسجد ومعه راية فوقف المختار لا يدري ما يصنع ، فبلغ خبره عمراً فاستدعاه وآمنه فحضر عنده ، فلما كان الغد ذكر عمارة بن الوليد بن عقبة أمره لعبيد الله فأحضره فيمن دخل وقال له : أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل قال : لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو فشهد له عمرو فضرب وجه المختار فشتر عينه وقال : لولا شهادة عمرو لقتلتك ، ثم حبسه حتى قتل الحسين ، ثم أن المختار بعث إلى عبد الله بن عمر بن الخطّاب يسأله أن يشفع فيه ، وكان ابن عمر تزوج أخت المختار صفية بنت أبي عبيد ، فكتب ابن عمر إلى يزيد يشفع

---

(١) في الطبري «لقفا» وضبطه الحازمي بفتح أوله وسكون ثانيه.

فيه فأرسل يزيد إلى ابن زياد يأمره بإطلاقه فأطلقه وأمره أن لا يقيم غير ثلاث ، فخرج المختار إلى الحجاز فلقيه ابن العِرْق[1] وراء واقصة فسلّم عليه وسأله عن عينه فقال: خبطها ابن الزانية بالقضيب فصارت كما ترى ، ثم قال : قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأعضاءه إرباً إرباً .

ثم سأله المختار عن ابن الزبير فقال ، إنه عائذ بالبيت وإنه يبايع سرّاً ولو اشتدّت شوكته وكثرت رجاله لظهر ، فقال المختار : إنه رجل العرب اليوم وإن اتبع رأيي أكفه أمر الناس ، إن الفتنة أرعدت وأبرقت - وكان قد انبعث - فإذا سمعت بمكان قد ظهرت به في عصابة من المسلمين أطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المسلمين وابن بنت سيد المرسلين وابن سيّدها الحسين بن علي فَوَرَبّك لأقتلن بقتله عدة من قتل على دم يحيى بن زكريا ، ثم سار وابن العرق يعجب من قوله ، قال ابن العرق : فوالله لقد رأيت ما ذكره وحدّثت به الحجاج بن يوسف فضحك وقال : لله درّه أي رجل دنيا ومسعر حرب ومقارع أعداء كان ، ثم قدم المختار على ابن الزبير فكتم عنه ابن الزبير أمره ففارقه وغاب عنه سنة ثم سأل عنه ابن الزبير فقيل : إنه بالطائف وإنه يزعم أنه صاحب الغضب ومسير الجبارين فقال ابن الزبير : ما له قاتله الله لقد انبعث[2] كذاباً متكهناً أن يهلك الله الجبارين يكن المختار أوّلهم

---

(١) ضبط في الطبري بكسر العين المهملة وسكون الراء وهو رجل من موالي ثقيف.

(٢) في الأصل «لقد إتبع» وهو تحريف.

فهو في حديثه إذ دخل المختار المسجد فطاف وصلّى ركعتين وجلس فآتاه معارفه يحدّثونه ولم يأتِ ابن الزبير فوضع ابن الزبير عليه عباس بن سهل بن مسعر فأتاه وسأله عن حاله ثم قال له: مثلك يغيب عن الذي قد اجتمع عليه الأشراف من قريش ، والأنصار ، والثقيف ، ولم تبقَ قبيلة إلاّ وقد آتاه زعيمها فبايع هذا الرجل فقال : إني أتيته العام الماضي وكتم عني خبره فلما استغنى عني أحببت أن أريه أني مستغن عنه فقال له العباس : إلقه الليلة وأنا معك فأجابه إلى ذلك .

ثم حضر عند ابن الزبير بعد العتمة فقال المختار : أبايعك على أن لا تقضي الأمور دوني وعلى أن أكون أول داخل وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك فقال ابن الزبير : أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله فقال : وشر غلماني تبايعه على ذلك والله لا أبايعك أبداً إلا على ذلك فبايعه فأقام عنده وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبلى أحسن بلآء، وقاتل أشد قتال ، وكان أشدّ الناس على أهل الشام ، فلما هلك يزيد بن معاوية وأطاع أهل العراق ابن الزبير أقام عنده خمسة أشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من أهل الكوفة إلا سأله عن حال الناس فأخبره هانئ بن جبة[١] الوداعي باتساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير ، إلا أن طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما فقال المختار : أنا أبو اسحاق أنا

---

(١) في الطبري «ابن أبي حية» بالحاء المهملة والياء المثناة من تحت.

والله لهم أن أجمعهم على الحق ، وألقى[١] بهم ركبان الباطل وأهلك بهم كل جبار عنيد ، ثم ركب راحلته نحو الكوفة فوصل إلى نهر الحيرة يوم الجمعة فاغتسل ولبس ثيابه ثم ركب ، فمرّ بمسجد السكون وجبانة كندة لا يمر على مجلس إلا سلّم على أهله وقال أبشروا بالنصرة والفلج، أتاكم ما تحبون ، ومر ببني بدء[٢] فلقي عبيدة بن عمرو البدئي[٣] من كندة فسلّم عليه ، وقال له : أبشر بالنصر والفلج[٤] أنك أبو عمرو وعلى رأي حسن لن يدع الله لك معه إثماً إلاّ غفره لك ولا ذنباً إلاّ ستره ، وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدّهم تشيعاً وحباً لعلي فقال له : بشّرك الله بالخير فهل أنت مبين[٥] لنا ؟ قال : نعم القني الليلة ، ثم مر ببني هند فلقي إسماعيل بن كثير فرحب به وقال له: ألقني أنت وأخوك الليلة فقد أتيتكم بما تحبون، ومر على حلقة من همدان فقال: قد قدمت عليكم بما يسركم، ثم أتى المسجد واستشرف له الناس فقام إلى سارية فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة، وصلى مع الناس ثم صلى ما بين الجمعة والعصر ثم انصرف إلى داره واختلف إليه الشيعة، وأتى إسماعيل بن كثير، وأخوه، وعبيدة بن عمرو فسأله فأخبروه خبر

---

(١) في الطبري «وأنفي بهم» وهي محرفة.

(٢) في الطبري «بداء» بتشديد الدال مفتوحة فألف بعدها همزة.

(٣) في الطبري «البدي».

(٤) الفلج – بسكون اللام – الفوز والظفر.

(٥) في الطبري «مفسر».

سليمان بن سلط وأنه على المنبر فحمد الله ثم قال: إن محمد بن الحنفية بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومشيحاً[1] وأميراً وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيتي والدفع عن الضعفاء، فكوني أول خلق الله إيجابة فضربوا على يده وبايعوه، وبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد وقال لهم نحو ذلك وقال لهم: إن سليمان ليس له بصر بالحرب ولا تجربة بالأمور وإنما يريد أن يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه، وأنا أعمل على مثال مثل لي وأمر بين لي أعين وليكم وأقتل عدوكم وأشفي صدوركم فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري ثم انتشروا وما زال بهذا ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة وصاروا يختلفون إليه ويعظمونه، وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به أحداً وهو اثقل خلق الله على المختار وهو ينظر إلى ما يصير إليه أمر سليمان.

فلما خرج سليمان نحو الجزيرة قال عمر بن سعد ، وشبث بن ربعي، وزيد بن الحرث بن رويم لعبد الله بن يزيد الخطمي ، و إبراهيم بن محمد بن طلحة: إن المختار أشد عليكم من سليمان إنما خرج يقاتل عدوّكم ، وإن المختار يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا إليه فأوثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس فأتوه فأخذوه بغتة ، فلما رآهم قال : مالكم ؟ فوالله ما ظفرت أكفكم ، فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله : شده كتافاً ومشه حافياً فقال عبد الله : ما كنت

---

(٦) في الطبري «ومنتخبا».

لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا غدره إنما أخذناه على الظن فقال ابراهيم: ليس هذا بعشك فادرجي ، ما هذا الذي بلغنا عنك يا ابن أبي عبيد ؟ فقال : ما بلغك عني إلا باطل وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك ثم حمل إلى السجن غير مقيّد ، وقيل : بل كان مقيداً فكان يقول في السجن: أما ورب البحار ، والنخيل ، والأشجار ، والمهامه ، والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار بجموع الأنصار ليس بمثل أغمار ولا بعزل أشرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثار النبيين لم يكبر عليَّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى وقيل في خروج المختار إلى الكوفة وسببه غير ما تقدم ، وهو أن المختار قال لابن الزبير - وهو عنده - إني لأعلم قوماً لو أن لهم رجلاً له فقه وعلم بما يأتي ويذر لأستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم أهل الشام قال : من هم؟ قال : شيعة علي بالكوفة قال : فكن أنت ذلك الرجل ، فبعثه إلى الكوفة فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى لقوه وأحبوه فنقلوه إلى وسط الكوفة ، وأتاه منهم بشر كثير فلما قوي أمره سار إلى ابن مطيع .

مسير التوّابين وقتلهم

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعي الشخوص سنة خمس وستين بعث إلى رؤوس أصحابه فأتوه فلما أهلّ ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج تلك الليلة ، فلما أتى النخيلة دار في الناس فلم يعجبه عددهم ، فأرسل حكيم بن منقذ الكندي ، والوليد بن عصير الكناني فناديا في الكوفة : يا لثارات الحسين ، فأصبح من الغد وقد أتاه نحو مما في عسكره ، ثم نظر في ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفاً ممن بايعه فقال : سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفاً إلا أربعة آلاف فقيل له : إن المختار يثبط الناس عنك إنه قد تبعه ألفان فقال : قد بقي عشرة آلاف ، أما هؤلاء بمؤمنين ، أما يذكرون الله والعهود والمواثيق ، فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث إلى من تخلّف عنه فخرج إليه نحو من ألف رجل ، فقام إليه المسيب بن نجبة فقال : رحمك الله إنه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية فلا تنتظر أحداً وجدّ في أمرك قال: نعم ما رأيت ، ثم قام سليمان في أصحابه فقال : أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منّا ونحن منه فرحمة الله

عليه حيّاً أو ميتاً وإن كان إنما يريد الدنيا فوالله ما يأتي في نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع ما هو إلا سيوفنا على عواتقنا ، وزاد قدر البلغة فمن كان ينوي هذا فلا يصحبنا فتنادى أصحابه من كل جانب إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا إنما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فلما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل ، إني قد رأيت رأياً إن يكن صواباً فالله الموفق وإن يكن ليس صواباً فمن قبلي ، إنا خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلته كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد ورؤوس الأرباع والقبائل فأين نذهب من هنا وندع الأوتار؟ فقال أصحابه كلهم : هذا هو الرأي فقال سليمان : لكن أنا لا أرى ذلك إن الذي قتله وعبى الجنود إليه وقال : لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي هذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد ، فسيروا إليه على بركة الله فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون علينا منه ، ورجونا أن يدين لكم أهل مصركم في عافية فينظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون ، وإن تستشهدوا فإنما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للأبرار ، إني لا أحب أن تجعلوا جدكم بغير المحلين ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه ورجلاً يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا ، وبلغ عبد الله بن يزيد ، و إبراهيم بن محمد

بن طلحة خروج ابن صرد ، فأتياه في أشراف أهل الكوفة ، ولم يصحبهم من شرك في دم الحسين خوفاً منه ، وكان عمر بن سعد تلك الأيام يبيت في قصر الإمارة خوفاً منهم ، فلما أتياه قال عبد الله بن يزيد : إن المسلم أخ المسلم لا يخونه ولا يغشه ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا ، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى نتهيأ فإذا سار عدونا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا فقاتلناه ، وجعل لسليمان وأصحابه خراج جُوخى[1] إن أقاموا وقال إبراهيم بن محمد مثله ، فقال سليمان لهما: قد محضتما النصيحة واجتهدتما في المشورة ، فنحن بالله وله نسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرانا إلا سائرين . فقال عبد الله : فأقيموا حتى نعبى معكم جريداً كثيفاً فتلقوا عدوكم بجمع كثيف ، وكان قد بلغهم إقبال عبيد الله بن زياد من الشام في جنود كثيرة فلم يقم سليمان ، فسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار الأهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال: ما أحب أن تتخلفوا ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً إن الله كره انبعاثهم فثبطهم واختصكم بفضل ذلك .

ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه

---

(١) في معجم البلدان ١٧٩/٢: خوجا: بالضم والقصر وقد يفتح إسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد.

وترك القتال معه وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه ، وكان من قولهم عند ضريحه : اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد : المهدي ابن المهدي الصديق ابن الصديق ، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم ، اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا ، فارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين ، وإنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، وزادهم النظر إليه حنقاً، ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له ، فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الأسود ، ثم ساروا على الأنبار ، وكتب إليهم عبد الله بن يزيد كتاباً منه : يا قومنا لا تطيعوا عدوكم أنتم في أهل بلادكم خيار كلكم، ومتى يصبكم عدوكم يعلموا أنكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم، يا قومنا انهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا إذاً أبداً ، يا قوم إن أيدينا وأيديكم واحدة وعدونا وعدوكم واحد ، ومتى تجتمع كلمتنا على عدونا نظهر على عدونا ، ومتى تختلف تهن شوكتنا على ما خالفنا ، يا قومنا لا تستغشوا نصحي ولا تخالفوا أمري وأقبلوا حين يقرأ كتابي عليكم والسلام .

فقال سليمان وأصحابه : فقد أتانا هذا ونحن في مصرنا ، فحين وطأنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا ما هذا برأي ، فكتب

إليه سليمان يشكره ويثني عليه ويقول : إن القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربهم وإنهم قد تابوا من عظيم ذنبهم، وتوجهوا إلى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله عليهم ، فلما جاء الكتاب إلى عبد الله قال : استمات القوم أول خير يأتيكم عنهم قتلهم والله ليقتلن كراماً مسلمين ، ثم ساروا حتى انتهوا إلى قرقيسيا على تعبية وبها زفر بن الحرث الكلابي قد تحصن بها منهم ولم يخرج إليهم ، فأرسل إليه المسيب بن نجبة يطلب إليه أن يخرج إليه سوقاً فأتى المسيب إلى باب قرقيسيا فعرفهم نفسه وطلب الإذن على زفر ، فأتى هذيل بن زفر أباه فقال : هذا رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة يستأذن عليك . فقال أبوه: أما تدري يا بني من هذا ؟ هذا فارس مضر الحمراء كلها، إذ عدّ من أشرافها عشرة كان أحدهم هو ، وهو متعبد رجل ناسك له دين ائذن له ، فأذن له .

فلما دخل عليه أجلسه إلى جانبه وسأله فعرفه المسيب حاله وما عزموا عليه ، فقال زفر : إنا لم نغلق أبواب المدينة إلا لنعلم إيانا تريدون أم غيرنا ، وما بنا عجز عن الناس وما نحب قتالكم ، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة ، ثم أمر ابنه فأخرج لهم سوقاً وأمر للمسيب بألف درهم وفرس فردّ المال وأخذ الفرس وقال : لعلّي أحتاج إليه إذا عرج فرسي ، وبعث زفر إليهم بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق إلا أن كان الرجل يشتري سوطاً أو ثوباً ، ثم ارتحلوا من الغد

وخرج إليهم زفر يشيعهم وقال لسليمان : إنه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم الحصين بن نمير ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وأدهم بن محرز ، وجبلة بن عبد الله الخثعمي ، وعبيد الله بن زياد ، في عدد كثير مثل الشوك والشجر ، فإن شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة فإذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعاً فقال سليمان : قد طلب أهل مصرنا ذلك منا فأبينا عليهم ، قال زفر : فبادروهم إلى عين الوردة - وهي رأس عين - فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بيننا وبينكم ، فأنتم آمنون منه ، فاطووا المنازل فوالله ما رأيت جماعة قط أكرم منكم فإني أرجو أن تسبقوهم وإن قاتلتموهم فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم ، فإنهم أكثر منكم ولا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم فيصرعوكم ، ولا تصفوا لهم فإني لا أرى معكم رجالة ومعهم الرجالة والفرسان ، بعضهم يحمي بعضاً ولكن ألقوهم في الكتائب والمقانب، ثم بثوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى إلى جانبها فإن حمل على إحدى الكتيبتين رحلت الأخرى فنفست عنها ، ومتى شاءت كتيبة ارتفعت ومتى شاءت كتيبة انحطت ، ولو كنتم صفاً واحداً فزحفت إليكم الرجالة فدفعتم عن الصف انتقض فكانت الهزيمة ثم ودعهم ودعا لهم ودعوا له وأثنوا عليه ، ثم ساروا مجدين فانتهوا إلى عين الوردة فنزلوا غربيها وأقاموا خمساً فاستراحوا وأراحوا. وأقبل أهل الشام في عساكرهم حتى

كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال : أما بعد فقد أتاكم عدوكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار فإذا لقيتموهم فأصدقوهم القتال واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يولينهم امرؤ دبره إلاّ محترفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة ، ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه فإن هذه كانت سيرة علي في أهل هذه الدعوة ، ثم قال: إن أنا قتلت فأمير الناس مسيب بن نجبة ، فإن قُتل فالأمير عبد الله بن سعد بن نفيل فإن قتل فالأمير عبد الله بن وأل ، فإن قتل فالأمير رفاعة بن شداد ، رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه .

ثم بعث المسيب في أربعمائة فارس ثم قال : سر حتى تلقى أول عساكرهم فشن عليهم الغارة فإن رأيت ما تحبه وإلا رجعت وإياك أن تترك واحداً من أصحابك أو تستقبل آخر حتى تجد منه بداً. فسار يومه وليلته ثم نزل السحر ؛ فلما أصبحوا أرسل أصحابه في الجهات ليأتوه بمن يلقون فأتوه بأعرابي فسأله عن أدنى العساكر منه فقال: أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع ، وهو منك على رأس ميل ، وقد اختلف هو والحصين ادعى الحصين أنه على الجماعة ، وأبى شرحبيل ذلك وهما ينتظران أمر ابن زياد. فسار المسيب ومن معه مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارون فحملوا في جانب

عسكرهم فانهزم العسكر وأصاب المسيب منهم رجالاً فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب ، وخلى الشاميون معسكرهم وانهزموا فغنم منه أصحاب المسيب ما أرادوا ، ثم انصرفوا إلى سليمان موفورين ، وبلغ الخبر ابن زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل في اثني عشر ألفاً ، فخرج أصحاب سليمان إليه لأربع بقين من جمادى الأولى وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد ، وعلى ميسرتهم المسيب بن نجبة ، وسليمان في القلب ، وجعل الحصين على ميمنته جبلة بن عبد الله ، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي . فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم ، وأنهم يخرجون من العراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الأمر إلى أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فأبى كل منهم . فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين والميسرة أيضاً على الميمنة وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فانهزم أهل الشام إلى معسكرهم ، وما زال الظفر لأصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل فلما كان الغد صبح الحصين جيش مع ابن ذي الكلاع ثمانية آلاف مدهم بهم عبيد الله بن زياد ، وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم إلا الصلاة ، فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم ، فلما أصبح أهل

الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف من ابن زياد فاقتتلوا يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى. ثم إن أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب ، ورأى سليمان ما لقي أصحابه فنزل ونادى : عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإليّ ، ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح ، فلما رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجالة ترميهم بالنبل واكتنفهم الخيل والرجال ، فقتل سليمان رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع ، فلما قُتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ، ثم تقدم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل فعل ذلك مراراً ثم قُتل رضي الله عنه بعد أن قتل رجالاً، فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل وترحم عليهما ثم قرأ ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾[1] وحف به من كان معه من الأزد ، فبينما هم في القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة يخبرون بمسيره في سبعين ومائة من أهل المدائن ، ويخبرون أيضاً بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدي في ثلاثمائة فسرّ الناس ، فقال عبد الله بن سعد : ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء ، فلما نظر الرسل إلى مصارع اخوانهم ساءهم

---

(١) سورة الأحزاب ٢٣.

ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم ، وقُتل عبد الله بن سعد بن نفيل قتله ابن أخي ربيعة بن مخارق ، وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلصوه بكثرتهم وقتلوا خالداً ، وبقيت الراية ليس عندها أحد فنادوا عبد الله بن وأل فإذا هو قد اصطلى الحرب في عصابة معه ، فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه ، فأتى فأخذ الراية وقاتل ملياً ثم قال لأصحابه: من أراد الحياة التي ليس بعدها موت ، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور الذي ليس بعده حزن فليقترب إلى الله بقتال هؤلاء المحلين الرواح إلى الجنة - وذلك عند العصر - فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم ، ثم إن أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم إلى المكان الذي كانوا فيه وكان مكانهم لا يؤتى إلا من وجه واحد، فلما كان المساء تولى قتالهم أدهم بن محرز الباهلي فحمل عليهم في خيله ورجله فوصل ابن محرز إلى ابن وأل وهو يتلو ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾[1] الآية فغاظ ذلك أدهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فأبانها ثم تنحى عنه وقال : إني أظنك وددت أنك عند أهلك ، قال ابن وأل : بئسما ظننت والله ما أحب أن يدك مكانها إلا أن يكون لي من الأجر ما في يدي ليعظم وزرك ويعظم أجري. فغاظه ذلك أيضاً فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول ؛ وكان

---

(١) سورة آل عمران ١٦٩.

ابن وأل من الفقهاء العباد ، فلما قتل أتوا رفاعة ابن شداد البجلي وقالوا : لتأخذ الراية فقال : ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شرّ لهم ، فقال له عبد الله بن عوف بن الأحمر : هلكنا والله لئن انصرفنا ليركبن أكتافنا ، فلا نبلغ فرسخاً حتى نهلك عن آخرنا ، وإن نجا منا ناج أخذته العرب يتقربون به إليهم فقتل صبراً، هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ، ونعرف الوجه الذي نأخذه ، فقال رفاعة : نعم ما رأيت . وأخذ الراية وقاتلهم قتالاً شديداً ، ورام أهل الشام إهلاكهم قبل الليل فلم يصلوا إلى ذلك لشدة قتالهم ، وتقدم عبد الله بن عزيز الكناني[1] فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير فنادى بني كنانة من أهل الشام وسلم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفة فعرضوا عليه الأمان فأبى ثم قاتلهم حتى قتل ، وتقدم كرب بن يزيد الحميري عند المساء في مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذي الكلاع الحميري الأمان . قال : قد كنا آمنين في الدنيا وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوهم حتى قتلوا ، وتقدم صخر[2] بن هلال المزني في ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا . فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم ، ونظر رفاعة

---

(١) في الطبري «الكندي».

(٢) في الطبري «صخير» بالتصغير.

إلى كل رجل قد عقر به فرسه وجرح فدفعه إلى قومه . ثم سار بالناس ليلته ، وأصبح الحصين ليلتقيهم فلم يرهم فلم يبعث في آثارهم وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الإقامة فأقاموا ثلاثاً فأضافهم ثم زوّدهم وساروا إلى الكوفة ، ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان في أهل المدائن فبلغ هيت فأتاه الخبر فرجع فلقي المثنى بن مخربة العبدي في أهل البصرة بصدود[١] فأخبره ، فأقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه وبكى بعضهم إلى بعض وأقاموا يوماً وليلة ثم تفرقوا فسار كل طائفة إلى بلدهم ، ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوساً فأرسل إليه : أما بعد فمرحباً بالعصبة الذين عظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضي فعلهم حين قتلوا[٢] أما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة ولا ربا ربوة[٣] إلا كان ثواب الله له أعظم من الدنيا ، إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء الصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون ، إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون ، وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين، المقيد من الأوتار ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين

---

(١) في الطبري «بصندوداء» وكذا في معجم البلدان.

(٢) في الطبري «حين إنصرفوا ورضي إنصرافهم حين قفلوا».

(٣) في الطبري «ولا رتا رتوة».

والسلام.

وكان قتل سليمان ومن معه في شهر ربيع الآخر ، ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فإن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وإن السيوف تركن رأس المسيب خذاريف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين، عبد الله بن سعد الأزدي ، وعبد الله بن وأل البكري ، ولم يبق بعدهم من عنده امتناع ، وفي هذا نظر فإن أباه كان حياً ، قال أعشى همدان في ذلك وهي مما يكتم ذلك الزمان :

ألمَّ خيـــالٌ منـــكِ يا أمَّ غـــــالبٍ
فـــحييتِ عنّا مِـــــنْ حبيب مُجَانِبِ

وما زلتُ في شجو[1] وما زلت مقصداً
لـــهم غَير أني من فراقِكِ نـــاصبِ

فما أنسَ لا أنسَ انفتالَكِ في الـضحى
إلـــينا مَعَ البيضِ الحسانِ الخراعـبِ

تراءت لنـا هيـفاءَ مهضومةَ الحشـــا
لـــطيفةَ طيِّ الكَشح ريَّا الحقائـــب

(١) في الطبري «وما زلت لي شجواً».

مسيكة غـزار ودسى بهـائـها[١]

كـشمس الضحى تنكل بـين السحائب

فلـما تغشّاها السحـابُ وحولـه

بـدا حاجبٌ منها وضنّت بـجانبِ

فتلك الـهوى وَهي الجوى لي والمنى

فأحبب بـها من خلةٍ[٢] لم تصاقبِ

ولا يبعد الله الـشبابَ وذكـرهُ

وحب[٣] تصافي المعصرات السواكبِ

ويـزدادُ مـا أحببته مـن عتابنا

لـعاباً وسقيـاً للخدينِ المـقاربِ

فإني وإن لم أنـسهنّ لـذاكرٌ

روية مخبـات[٤] كـريم المناصبِ

---

(١) في الطبري شطر البيت هكذا «متبلة غراء رود شبابها» والمبتلة الجميلة كأنها تبتل حسنها على أعضائها أي فرق على أعضائها فنال كل عضو نصيبه، والغراء البيضاء الجبهة، والرود اللينة المثنى تشبيهاً لها بالريح اللينة الهبوب، والقصد هنا ناعمة الشباب، ومنى تنكل أي تختفي بين السحائب فيكون السحاب لها وهي ما نسميه الآن الناموسية.

(٢) الخلة بالضم الخليلة

(٣) حب أفعل تفضيل ومعناه ما أُحبه أو أحبب به.

(٤) في الطبري رزئية مخبات.

تــــوسل بالتــقوى إلى الله صادقاً
وتقوى الإلهِ خيرُ تـــكسابِ كاسبِ
وخــلّى عن الدنيا وقال طَرَحْتُها[١]
فلــستُ إليها مــــا حييتُ بآيبِ
ومـــا أنا فيما يكره[٢] الناسُ فَقْدَهُ
ويسعى لـــه الساعون فيها بـراغبِ
تــوجهه نَـــحْوَ الثويَّةِ سائراً
إلى ابـن زيادٍ في الجموع الكتائبِ[٣]
بقومٍ همو أهـــلُ التقيَّةِ والنُّهى
مــصاليتُ أنجادٌ ســراة منــاجِبِ
مضوا تاركي رأي ابن طلحةَ حسبةً
ولم يستجيبوا للأمـــيرِ المخاطـــبِ
فساروا وهم ما بينَ مـلتمسِ التـقى
وآخـــرَ ممّا جرَّ بالأمــــسِ تائبِ

---

(١) في الطبري وقال أطرحنها.

(٢) في الطبري يكبر.

(٣) في الطبري الكواكب.

فلاقَوا بعينِ الوردةِ الجيشَ ناضلاً[1]

إليهم فَحَسُّوهُمْ[2] ببيضٍ قواضبِ

يمـانية تذري الأكـفَّ وتارة

بـخيلٍ عتاقٍ مقـرباتٍ سلاهبِ

فجاءهُمُ جمعٌ مـنَ الشام بعده

جموعٌ كموج البـحر من كلِّ جانبِ

فـما بَرِحُوا حتى أبِيدَتْ سـرَاتُهُمْ

فلم يَنْجُمنهم ثَمَّ غـيرُ عـصائبِ

وغودِرَ أهلُ الصبرِ صَرْعَى فأصبحوا

تعاورهم[3]ريح الـصبا والجنائبِ

فأضحى[4] الخزاعيُّ الـرئيسُ مجدّلاً

كأنْ لم يقـاتل مَرَّة ويـحاربِ

ورأس بني شـمخ وفـارس قومه

شنوءة والتـيميَّ هـادي الـكتائبِ

---

(١) في الطبري فاصلاً.

(٢) فحسوهم: بتشديد السين المهملة قتلوهم.

(٣) تعاورهم: أصلها تتعاورهم حذفت إحدى التاءين، أي تتناوبهم.

(٤) في الطبري وأضحى بالواو.

وعـــمرو بن بِشْرٍ والوليد وخـــالد

وزيـد بن بكر والحليس[١] بن غالبِ

وضارب بن همدان كــــل مُشَيّع

إذا شد لم ينـــكل كــــريم المكاسبِ

ومن كل قوم قد أصبتُ[٢] زعيمهم

وذا حَسَبٍ[٣] في ذروةِ المجدِ ثـــاقبِ

أبَوا غـــيرَ ضَرْبٍ يَفْلِقُ الهامَ وَقْعُهُ

وطـــعنٍ بأطرافِ الأسِنَّةِ صــــائبِ

وإنّ ســـعيداً يوم يدمر[٤] عــامراً

لأشجع من لـــــيثٍ بدربى[٥] مواثبِ

فيا خيرَ جيش بالـــــعراقِ وأهله

سقيتم روايا كــــل أسْحَمَ[٦] ساكبِ

فلا يبعدنْ فـــرساننا وحـــماتنا

إذا البيض أبدت عن خدامِ الكواعبِ

---

(١) الحليس: تصغير حلس.

(٢) في الطبري: قد أُصيب.

(٣) في الطبري: وذو حسب.

(٤) يدمر كينصر هجم هجوم الشر.

(٥) دربى كبشرة وهو بضم الدال المهملة وسكون الراء.

(٦) أسحم السين والحاء المهملتين، هم السحاب الأدكن لأنه يكون غزير الماء.

وما قتلوا حتى أثاروا عصابة
تَجَلَّيْنَ[1] نوراً كالشُّمُوسِ الصواربِ

وقيل : قتل سليمان ومن معه في شهر ربيع الآخر (الخزاعي) الذي هو في هذا الشعر هو سليمان بن صرد الخزاعي ، و(رأس بني شمخ) هو المسيب بن نجبة الفزاري و(فارس شنوءة) هو عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي أزد شنوءة (والتيمي) هو عبد الله بن وأل التيمي من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل و(الوليد) هو ابن عصير الكناني و(خالد) هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد الله و(نجبة) بالنون والجيم والباء الموحدة المفتوحات.

---

(١) في الطبري«محلين ثوراً كالليوث الضوارب» في قولة: في القاموس ثورى-كرضوي- نهر بدمشق أي أنهم لم يقتلوا حتى أثاروا عصابة عظيمة تحل عند ذلك النهر.

بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بولاية العهد

في سنة خمس وستين أمر مروان بن الحكم بالبيعة لإبنيه عبد الملك، وعبد العزيز، وكان السبب في ذلك أن عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله إلى فلسطين رجع إلى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر فبلغ مروان أن عمراً يقول : إن الأمر لي بعد مروان فدعا مروان حسان بن ثابت بن بحدل وأخبره أنه يريد أن يبايع لإبنيه عبد الملك وعبد العزيز وأخبره بما بلغه عن عمرو فقال: أنا أكفيك عمراً، فلما اجتمع الناس عند مروان عشياً ، قام حسان فقال: أنه قد بلغنا أن رجالاً يتمنون أماني قوموا فبايعوا لعبد الملك، وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم .

بعث ابن زياد وحبيش

في هذه السنة سير مروان بن الحكم بعثين ، أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ومحاربة زفر بن الحرث بقرقيسيا واستعمله على كل ما يفتحه ، فإذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق وأخذه من ابن الزبير ، فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق، والبعث الآخر إلى المدينة مع حبيش بن دلجة القيني فسار بهم حتى إنتهى إلى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عوف ابن أخي عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير فهرب منه جابر ، ثم إن الحرث بن أبي ربيعة وهو أخو عمرو بن ربيعة وجه جيشاً من البصرة وكان والياً عليها لإبن الزبير وجعل عليهم الحنيف بن السجف التيمي لحرب حبيش ، فلما سمع بهم حبيش سار إليهم من المدينة ، وأرسل عبدالله بن الزبير العباس بن سهل بن سعد الساعدي[1] إلى المدينة أميراً وأمره

(١) في الطبري «عياش» بالياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة، وفي تقريب التهذيب «عباس بن سهل بن سعد السعدي».

أن يسير في طلب حبيش حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف ، فأقبل عباس في آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله ، وكان معه يومئذٍ يوسف بن الحكم ، وابنه الحجاج وهما على جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم خمسمائة بالمدينة ، فقال العباس بن سهل: انزلوا على حكمي فنزلوا فقتلهم ، ورجع فلٌّ حبيش إلى الشام ، ولما دخل يزيد بن سنان المدينة كان عليه ثياب بيض فاسودّت مما مسحه الناس ومما صبّوا عليه من الطيب .

موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك

في شهر رمضان من سنة خمس وستين مات مروان بن الحكم . وكان سبب موته أن معاوية بن يزيد لما حضرته الوفاة لم يستخلف أحداً ، وكان حسان بن بحدل يريد أن يجعل الأمر من بعده في أخيه خالد بن يزيد وكان صغيراً وحسان خال أبيه يزيد فبايع حسان مروان بن الحكم وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد ، فلما بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان : تزوّج أم خالد وهي بنت أبي هاشم بن عتبة حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة وهو يمشي بين صفين فقال مروان : والله إنك لأحمق تعال يا ابن الرطبة الاست يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام ، فرجع خالد إلى أمه فأخبرها فقالت له ، لا يعلمن ذلك منك إلا أنا ، أنا أكفيكه ، فدخل عليها مروان فقال لها : هل قال لك خالد في شيئاً ؟ قالت : لا إنه أشد لك تعظيماً من أن يقول فيك شيئاً فصدقها ومكث أياماً، ثم إن مروان نام عندها يوماً فغطته بوسادة

حتى قتلته[1] فمات بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل : إحدى وستين ، وأراد عبد الملك قتل أم خالد فقيل له : يظهر عند الخلق أن امرأة قتلت أباك فتركها .

ولما توفي مروان قام بأمر الشام بعده ابنه عبد الملك وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك ، وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر فكان الناس يذمونه لذلك ، قيل: إنه اجتمع عنده قوم من الأشراف فقال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري : بلغني أنك لا تشبه أباك فقال : بلى والله اني لأشبه به من الماء بالماء والغراب بالغراب ولكن إن شئت أخبرتك بمن لم تنضجه الأرحام ولم يولد بالتمام ولم يشبه الأخوال والأعمام قال : من ذاك ؟ قال : سويد بن منجوف ، فلما خرج عبيد الله وسويد قال له سويد: ما سرني بمقالتك له حمر النعم فقال له عبيد الله : وما سرني والله باحتمالك إياي وسكوتك سوّدها.

---

(١) في البداية والنهاية «فلما أخذه النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتناملت عليها هي وجواريها حتى مات غماً». وقيل سمته.

استعمال مصعب بن الزبير على المدينة

في هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل أخاه مصعباً ، وسبب ذلك أن عبيدة خطب الناس فقال لهم : قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسة دراهم فسمى مقوم الناقة فبلغ ذلك أخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعباً .

بناء ابنُ الزبير الكعبة

لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير أيام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على أهل الشام . فلما مات يزيد واستقر الأمر لإبن الزبير شرع في بنائها فأمر بهدمها حتى ألحقت بالأرض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الأسود عنده وكان الناس يطوفون من وراء الأساس وضرب عليها السور وأدخل فيها الحجر ، واحتجّ بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة :« لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم وأزيد فيها الحجر» فحفر ابن الزبير فوجد أساساً أمثال الجمال فحرّكوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال : أقروها على أساسها وبنائها ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، وقيل : كانت عمارتها سنة أربع وستين .

وثوب المختار بالكوفة

في سنة ستٌ وستين في الرابع عشر من ربيع الأوّل وثب المختار بالكوفة وأخرج عنها عبد الله بن مطيع عامل عبد الله بن الزبير . وسبب ذلك أن سليمان بن صرد لما قتل قدم من بقي من أصحابه الكوفة فلما قدموا وجدوا المختار محبوساً قد حبسه عبد الله بن يزيد الحطمي، وإبراهيم بن محمد بن طلحة وقد تقدم ذكر ذلك ، فكتب إليهم من الحبس يثني عليهم ويمنيهم الظفر ويعرفهم أنه هو الذي أمره محمد بن علي - المعروف بابن الحنيفة - بطلب الثأر فقرأ كتابه رفاعة بن شداد ، والمثنى بن مخربة العبدي ، وسعد بن الحذيفة بن اليمان ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شميط الأحمسي ،وعبد الله بن شداد البجلي ، وعبد الله بن كامل ، فلما قرؤوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون له: إننا بحيث يسرك فإن شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فأتاه فأخبره فسر بذلك وقال لهم: إني أخرج في أيامي هذه .

وكان المختار قد أرسل إلى ابن عمر يقول له : إنني قد حبست

مظلوماً ويطلب إليه أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة فكتب إليهما ابن عمر في أمره فشفعاه وأخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه أنه لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه أحرار ذكرهم وأنثاهم ، فلما خرج نزل بداره فقال لمن يثق به : قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم ، أما حلفي بالله فإنني إذا حلفت على يمين فرأيت خيراً منها أن أكفر عن يميني وخروجي عليهم خير من كفي عنهم ، وأما هدي البدن وعتق المماليك فهو أهون علي من بصقة فوددت أن تم لي أمري ولا أملك بعده مملوكاً أبداً . ثم اختلفت إليه الشيعة واتفقوا على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد الحطمي ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، واستعمل عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفة فلقيه بحير بن رستان الحميري[١] عند مسيره إلى الكوفة فقال له : لا تسر الليلة فإن القمر بالناطح فلا تسر . فقال له : وهل نطلب إلا النطح فلقى نطحاً كما يريد فكان البلاء موكلاً بمنطقة وكان شجاعاً، وسار إبراهيم إلى المدينة وكسر الخراج وقال: كانت فتنة فسكت عنه ابن الزبير.

---

(١) في الطبري «بحير بن ريسان الحميري»

وكان قدوم ابن مطيع في رمضان لخمس بقين منه ، وجعل على شرطته إياس بن أبي مضارب[١] العجلي وأمره بحسن السيرة والشدّة على المريب . ولما قدم صعد المنبر فخطبهم وقال : أما بعد فإن أمير المؤمنين بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم. وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضا منكم . وأن أتبع وصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني، فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ولأقيمن درء الأصعر[٢] المرتاب فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال : أما حمل فيئنا برضانا فإنا نشهد أنا لا نرضى أن يحمل عنا فضله وأن لا يقسم إلا فينا ، وأن لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك ، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا ، وإن كانت أهون السيرتين علينا وقد كان يفعل بالناس خيراً . فقال يزيد بن أنس : صدق السائب وبرّ فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل. وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع فقال له : إن السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار فابعث إلى المختار فليأتك فإذا جاءك فاحبسه

---

(١) في الطبري «أياس بن مضارب»

(٢) الأصعر -بالعين المهملة- والسعر هو أمالة الوجه عن الناس تهاوناً بهم.

حتى يستقيم أمر الناس فإن أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر،فبعث ابن مطيع إلى المختار زائدة بن قدامة ، وحسين بن عبد الله البرسمي من همدان ، فقالا : أجب الأمير فعزم على الذهاب فقرأ زائدة ﴿ وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾(١) الآية فألقى المختار ثيابه وقال : ألقوا علي قطيفة فقد وعكت إني لأجد برداً شديداً ارجعا إلى الأمير فاعلماه حالي ، فعاد إلى ابن مطيع فأعلماه فتركه ؛ ووجه المختار إلى أصحابه فجمعهم حوله في الدور وأراد أن يثب في الكوفة في المحرم ، فجاء رجل من أصحاب شبام - وشبام حي من همدان - وكان شريفاً اسمه عبد الرحمن بن شريح فلقي سعيد بن منقذ الثوري ، وسعر بن أبي سعر الحنفي ، والأسود بن جراد الكندي ، وقدامة بن مالك الجشمي فقال لهم : إن المختار يريد يخرج بنا ولا ندري أرسله ابن الحنفية أم لا ، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية نخبره بما قدم علينا به المختار فإن رخص لنا في اتباعه تبعناه وإن نهانا عنه اجتنبناه ، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا قالوا له : أصبت .

فخرجوا إلى ابن الحنفية فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فأخبروه عن حالهم وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم إليه واستأذنوه في اتباعه ، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم بعد أن حمد الله

---

(١) سورة الأنفال -٣٠.

وأثنى عليه وذكر فضيلة أهل البيت والمصيبة بقتل الحسين ثم قال لهم: وأما ما ذكرتم ممن دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه - ولو كره لقال لا تفعلوا - فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممن أعلموه بحالهم ، وكان ذلك قد شق على المختار وخاف أن يعودوا بأمر يخذل الشيعة عنه ، فلما قدموا الكوفة دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى بيوتهم فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فتنتم وأرتبتم فقالوا له : إنا قد أمرنا بنصرك ، فقال : الله أكبر اجمعوا لي الشيعة فجمع من كان قريباً منهم فقال لهم : إن نفراً قد أحبوا أن يعلموا مصداق ما جاءت به فرحلوا إلى محمد بن الحنفية فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله وأمركم باتباعي وطاعتي فيمت دعوتكم إليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفين ، فقام عبدالرحمن بن شريح وأخبرهم بحالهم ومسيرهم وأن ابن الحنفية أمرهم بمظاهرته وموازرته وقال لهم : ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتأهبوا، وقام جماعة من أصحابه فقالوا نحواً من كلامه فاستجمعت له الشيعة وكان من جملتهم الشعبي وأبوه شراحيل .

فلما تهيأ أمره للخروج قال له بعض أصحابه : إن أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مطيع فإن أجابنا إلى أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا القوة على عدونا فإنه فتى رئيس وابن رجل شريف له

عشيرة ذات عز وعدد . فقال لهم المختار : فألقوه وادعوه فخرجوا إليه ومعهم الشعبي فأعلموه حالهم وسألوه مساعدتهم عليه وذكروا له ما كان عليه من ولاء علي وأهل بيته. فقال لهم : إني قد أجبتكم إلى الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تولوني الأمر . فقالوا له : أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل محمد بن الحنفية وهو المأمور بالقتال وقد أمرنا بطاعته . فسكت إبراهيم ولم يجبهم فانصرفوا عنه فأخبروا المختار فمكث ثلاثاً ثم سار في بضعة عشر من أصحابه ، والشعبي وأبوه فيهم إلى إبراهيم فدخلوا عليه فألقى لهم الوسائد فجلسوا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار: هذا كتاب من محمد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسألك أن تنصرنا وتوازرنا، قال الشعبي: وكان الكتاب معي، فلما قضى كلامه قال لي: ادفع الكتاب إليه فدفعه إليه الشعبي فقرأه فإذا فيه من محمد بن علي بن أبي طالب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بعثت إليكم وزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي وأمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك إن تنصرني[1] واجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ولك أعنة

---

(١) في الطبري «إنْ نصرتني»

الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهر عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام.

فلما فرغ من قراءة الكتاب قال: قد كتب إليّ ابن الحنفية قبل اليوم وكتب فلم يكتب إلي إلا اسمه واسم أبيه، قال المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان، قال: فمن يعلم أن هذا كتابه إلي؟ فشهد جماعة ممن معه منهم زيد بن أنس، وأخمر بن شميط، وعبد الله بن كامل، وجماعتهم إلا الشعبي فلما شهدوا تأخر إبراهيم عند صدر الفراش وأجلس المختار عليه وبايعه ثم خرجوا من عنده،وقال إبراهيم للشعبي: قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا أبوك افترى هؤلاء شهدوا على حق؟ فقال له: هؤلاء سادة القراء، ومشيخة المصر، وفرسان العرب ولا يقول مثلهم إلا حقاً[1] فكتب أسماءهم وتركها عنده، ودعا إبراهيم عشيرته، ومن أطاعه وأقبل يختلف إلى المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمورهم، واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين. فلما كانت تلك الليلة عند المغرب صلى إبراهيم بأصحابه ثم خرج يريد المختار وعليه وعلى اصحابه السلاح، وقد أتى إياس بن مضارب عبد الله بن مطيع فقال له: إن المختار خارج عليك بإحدى هاتين الليلتين وقد بعث ابني إلى الكناسة فلو بعثت في كل جبانة

(١) في البداية والنهاية: وكتمته ما في نفسي من إتهامهم، ولكني كنت أحب أنْ يخرجوا للأخذ بثأر الحسين وكنت على رأس القوم.

عظيمة بالكوفة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج عليك، فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعد بن قيس الهمداني إلى جبانة السبيع وقال: اكفني قومك ولا تحدثن بها حدثاً، و بعث كعب بن ابي كعب الخثعمي إلى جبانة بشر، وبعث زحر بن قيس الجعفي إلى جبانة كندة، وبعث عبد الرحمن بن مخنف إلى جبانة الصائديين، وبعث شمر بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم، وبعث يزيد بن رويم إلى جبانة المراد وأوصى كلاً منهم أن لا يؤتى من قبله، وبعث شبث بن ربعي إلى السبخة وقال: إذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم، وكان خروجهم إلى الجبابين يوم الاثنين، وخرج إبراهيم بن الأشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء، وقد بلغه أن الجبابين قد ملئت رجالاً وأن إياس بن مضارب في الشرط قد أحاط بالسوق والقصر، فأخذه معهم من أصحابه نحو مائة دارع وقد لبسوا عليها الأقبية فقال له أصحابه: تجنب الطريق فقال: والله لأمرن وسط السوق بجنب القصر ولأرعبن عدونا ولأرينهم هوانهم علينا. فسار على باب الفيل ثم على دار عمرو بن حريث فلقيهم إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح فقال: من أنتم؟ فقال إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر فقال إياس: ما هذا الجمع الذي معك وما تريد؟ ولست بتاركك حتى آتي بك الأمير فقال إبراهيم: خلّ سبيلاً قال: لا أفعل، وكان مع إياس بن مضارب رجل همداني يقال له أبو قطن - وكان يكرمه وكان صديقاً لابن الأشتر - فقال له ابن

الأشتر: أدن مني يا أبا قطن فدنا منه وهو يظن أن إبراهيم يطلب منه أن يشفع فيه إلى إياس، فلما دنا منه أخذ رمحاً كان معه وطعن به إياساً في ثغرة نحوه فصرعة، وأمر رجلاً من قومه فأخذ راسه. وتفرق أصحاب إياس ورجعوا إلى ابن مطيع فبعث مكانه ابنه راشد بن أياس على الشرط وبعث مكان راشد إلىالكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد.

واقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار وقال له: إنا اتعدنا للخروج القابلة وقد جاء أمر لا بد من الخروج الليلة وأخبره الخبر. ففرح المختار بقتل إياس وقال: هذا أول الفتح إن شاء الله تعالى . ثم قال لسعيد بن منقذ: قم فاشعل النيران في الهوادي والقصب وارفعها. وسر أنت يا عبد الله بن شداد فناد يا منصور امت. وقم أنت يا سفيان بن ليلى، وأنت يا قدامة بن مالك فناد يا لثارات الحسين: ثم لبس سلاحه فقال إبراهيم: إن هؤلاء الذين في الجبابين يمنعون أصحابنا من إتياننا فلو سرت إلى قومي بمن معي ودعوت من أجابني وسرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا لخرج إلينا من أراد الخروج . ومن أتاك حبسته عندك إلى من معك فإن عوجلت كان عندك من يمنعك إلى أن آتيك فقال له : إفعل وعجّل وإياك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع أن لا تقاتله إلا أن يبدأك أحد بقتال ، فخرج إبراهيم وأصحابه حتى أتى قومه واجتمع إليه جلّ من كان أجابه ، وسار بهم في

سكك المدينة ليلاً طويلاً وهو يتجنّب المواضع التي فيها الأمراء الذين وضعهم ابن مطيع . فلما انتهى إلى مسجد السكون أتاه جماعة من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس عليهم أمير فحمل عليهم إبراهيم فكشفهم حتى أدخلهم جبانة كندة وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا على هؤلاء . ثم رجع إبراهيم عنهم بعد أن هزمهم .

ثم سار إبراهيم حتى أتى جبانة أثير فتنادوا بشعارهم فوقف فيها فأتاه سويد بن عبد الرحمن المنقري ورجا أن يصيبهم فيحظى بها عند ابن مطيع فلم يشعر به إبراهيم إلا وهو معه ، فقال إبراهيم لأصحابه : يا شرطة الله أنزلوا فإنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم فنزلوا . ثم حصل عليهم إبراهيم حتى أخرجهم إلى الصحراء فانهزموا فركب بعضهم بعضاً وهم يتلاومون وتبعهم حتى أدخلهم الكناسة فقال لإبراهيم أصحابه : اتبعهم واغتنم ما دخلهم من الرعب فقال :لا ولكن نأتي صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته ويعلم ما كان من نصرنا له فيزداد هو وأصحابه قوة مع إني لا آمن أن يكون قد أوتي .

ثم سار إبراهيم حتى أتى باب المختار فسمع الأصوات عالية والقوم يقتتلون . وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فعبى له المختار يزيد بن أنس وجاء حجار بن أبجر العجلي فجعل المختار في وجهه أحمر بن

شميط ، فبينما الناس يقتتلون إذ جاء إبراهيم من قبل القصر . فبلغ حجاراً وأصحابه أن إبراهيم قد أتاهم من ورائهم فتفرقوا في الأزقة قبل أن يأتيهم ، وجاء قيس بن طهفة النهدي في قريب من مائة وهو من أصحاب المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا ؛ وأقبل شبث إلى ابن مطيع وقال له : اجمع الأمراء الذين بالجبابين وجميع الناس ثم أنفذ إلى هؤلاء القوم فقاتلهم فإن أمرهم قد قوي وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره ، فلما بلغ قوله المختار خرج في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند في السبخة ، وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون أن يظهروا لقرب كعب الخثعمي منهم - وكان قد أخذ عليهم أفواه السكك - فلما أتاهم أبو عثمان في جماعة من أصحابه نادى يا لثارات الحسين يا منصور أمت أمت يا أيها الحي المهتدون إن أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثني إليكم داعياً ومبشراً فاخرجوا رحمكم الله فخرجوا من الدور يتداعون يا لثارات الحسين وقاتلوا كعباً حتى خلا لهم الطريق فأقبلوا إلى المختار فنزلوا معه ، وخرج عبد الله بن قتادة في نحو من مائتين فنزل مع المختار وكان قد تعرض لهم كعب فلما عرف أنهم من قومه خلى عنهم، وخرجت شبام - وهم حي من همدان - من آخر ليلتهم فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فأرسل إليهم إن كنتم تريدون المختار

فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار ، فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه فاجتمعوا له قبل الفجر فأصبح وقد فرغ من تعبيته وصلى بأصحابه بغلس ، وأرسل ابن مطيع إلى الجبابين فأمر من بها ان يأتوا إلى المسجد ، وأمر راشد بن إياس فنادى في الناس برئت الذمة من رجل لم يأتِ المسجد الليلة فاجتمعوا ، فبعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط ، فسار شبث إلى المختار فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح فأرسل من أتاه بخبرهم ، وأتى إلى المختار ذلك الوقت سعر بن أبي سعر الحنفي وهو من أصحابه لم يقدر على إتيانه إلا تلك الساعة فرأى راشد بن إياس في طريقه فأخبر المختار خبره أيضاً ، فبعث المختار إبراهيم بن الأشتر إلى راشد في سبعمائة ، وقيل ، في ستمائة فارس وستمائة راجل ، وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل وأمره بقتال شبث بن ربعي ومن معه وأمرهما بتعجيل القتال وأن لا يستهدفا لعدوّهما فإنه أكثر منهما . فتوجه إبراهيم إلى راشد ، وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث بن ربعي في تسعمائة أمامه ، فتوجه نعيم إلى شبث فقاتله قتالاً شديداً . فجعل نعيم سعر بن أبي سعر على الخليل ومشى هو في الرجالة فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت فانهزم أصحاب شبث حتى دخلوا البيوت . فناداهم شبث وحرضهم فرجع إليه منهم

جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرقوا فهزمهم وصبر نعيم فقتل وأسر سعر بن أبي سعر ، وجماعة من أصحابه فأطلق العرب وقتل الموالي . وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وكان قد وهن لقتل نعيم . وبعث ابن مطيع يزيد بن الحرث بن رويم في ألفين فوقفوا في أفواه السكك .

وولى المختار يزيد بن أنس خيله وخرج هو في الرجالة فحملت عليه خيل شبث فلم يبرحوا مكانهم ، فقال لهم يزيد بن أنس : يا معشر الشيعة انكم كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم إذا ظهروا عليكم اليوم والله لا يدعون منكم عيناً تطرف وليقتلنكم صبراً ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منهم إلا الصدق والصبر والطعن الصائب والضرب الدارك فتهيؤوا للحملة فتيسروا ينتظرون أمره وجثوا على ركبهم .

وأما إبراهيم بن الأشتر فإنه لقي راشداً فإذا معه أربعة آلاف فقال إبراهيم لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء ، فوالله لَرُبّ رجل خير من عشرة والله مع الصابرين ، وقدم خزيمة بن نصر إليهم في الخيل ونزل هو يمشي في الرجالة ، وأخذ إبراهيم يقول لصاحب رايته : تقدم برايتك امض بهؤلاء وبهؤلاء ، واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وحمل خزيمة بن نصر العبسي على راشد فقتله ثم نادى قتلت راشداً ورب الكعبة

وانهزم أصحاب راشد، وأقبل إبراهيم، وخزيمة ، ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار وأرسل البشير إلى المختار بقتل راشد فكبّر هو وأصحابه وقويت نفوسهم ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل ، وأرسل ابن مطيع حسان بن فائد بن بكر العبسي في جيش كثيف نحو ألفين فاعترض إبراهيم ليرده عمن بالسبخة من أصحاب ابن مطيع فتقدم إليهم إبراهيم فانهزموا من غير قتال ، وتأخر حسان يحمي أصحابه فحمل عليه خزيمة فعرفه فقال : يا حسان لولا القرابة لقتلتك فانج بنفسك فعثر به فرسه فوقع فابتدره الناس فقاتل ساعة فقال له خزيمة: أنت آمن فلا تقتل نفسك . وكف عنه الناس . وقال لإبراهيم : هذا ابن عمي وقد أمنته فقال : أحسنت وأمر بفرسه فأُحضر فأركبه وقال :الحق بأهلك .

وأقبل إبراهيم نحو المختار - وشبث بن ربعي محيط به - فلقيه يزيد بن الحرث وهو على أفواه السكك التي تلي السبخة فأقبل إلى إبراهيم ليصده عن شبث وأصحابه فبعث إبراهيم إليه طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر وسار نحو المختار وشبث فيمن بقي معه . فلما دنا منهم إبراهيم حمل على شبث وحمل يزيد بن أنس فانهزم شبث ومن معه إلى أبيات الكوفة . وحمل خزيمة بن نصر على يزيد بن الحرث فهزمه فازدحموا على أفواه السكك وفوق البيوت . وأقبل المختار فلما انتهى إلى أفواه السكك رمته الرماة بالنبل فصدوه عن الدخول إلى

الكوفة في ذلك الوجه.

ورجع الناس من السبخة منهزمين إلى ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن إياس فسقط في يده ، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي : أيها الرجل لا تلق بيدك واخرج إلى الناس واندبهم إلى عدوك فإن الناس كثير وكلهم معك إلا هذه الطائفة التي خرجت والله يخزيها وأنا أول منتدب فانتدب معي طائفة ومع غيري طائفة ، فخرج ابن مطيع فقام في الناس ووبخهم على هزيمتهم وأمرهم بالخروج إلى المختار . وأصحابه ولما رأى المختار أنه قد منعه يزيد بن الحرث من دخول الكوفة عدل إلى بيوت مزينة ، وأحمس، وبارق، وبيوتهم منفردة ، فسقوا أصحابه الماء ولم يشرب هو فإنه كان صائماً فقال أحمر بن شميط لابن كامل : أتراه صائماً ؟ قال ؟ نعم قال : لو أفطر كان أقوى له قال : إنه معصوم[1] وهو أعلم بما يصنع فقال أحمر : صدقت أستغفر الله ، فقال المختار: نعم المكان للقتال هذا ، فقال إبراهيم : إن القوم قد هزمهم الله وأدخل الرعب في قلوبهم، سر بنا فوالله ما دون القصر مانع ، فترك المختار هناك كل شيخ ضعيف ذي علة وثقلهم واستخلف عليهم أبا عثمان النهدي وقدم إبراهيم أمامه ، وبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفين فخرج عليهم ، فأرسل المختار إلى إبراهيم أن أطوه ولا تقم عليه

---

(١) لعله يريد القول بأنّه يسير بأمر المعصوم: وإلا فالمختار ليس بمعصوم والله أعلم.

فطواه وأقام ؛ وأمر المختار يزيد بن أنس أن يواقف عمرو بن الحجاج فمضى إليه ، وسار المختار في اثر إبراهيم ثم وقف في موضع مصلى خالد بن عبد الله، ومضى إبراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكناسة فخرج إليه شمر بن ذي الجوشن في ألفين فسرح إليه المختار سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه وأرسل إلى إبراهيم يأمره بالمسير : فسار حتى انتهى إلى سكة شبث فإذا نوفل بن مساحق في ألفين . وقيل : خمسة آلاف وهو الصحيح .

وقد أمر ابن مطيع منادياً في الناس ان الحقوا بابن مساحق ، وخرج ابن مطيع فوقف بالكناسة واستخلف شبث بن ربعي على القصر ، فدنا ابن الأشتر من ابن مطيع فأمر أصحابه بالنزول وقال لهم : لا يهولنكم أن يقال جاء شبث ، وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث ، وآل يزيد بن الحرث ، وآل فلان . فسمى بيوتنا أهل الكوفة . ثم قال : ان هؤلاء لو وجدوا حرّ السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب ففعلوا ذلك ، وأخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فأدخله في منطقته وكان القباء على الدرع فلم يلبثوا حين حمل عليهم ان انهزموا يركب بعضهم بعضاً على أفواه السكك وازدحموا، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق فأخذ بعنان دابته ورفع السيف عليه فقال له : يا ابن الأشتر أنشدك الله هل بيني وبينك من إحنة أو تطلبني بثأر ، فخلّى سبيله. وقال : اذكرها

فكان يذكرها له ، ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ومعه الأشراف من الناس غير عمرو بن حريث فإنه أتى داره ثم خرج إلى البر ، وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولّى إبراهيم حصار القصر ومعه يزيد بن أنس ، وأحمر بن شميط ، فحصروهم ثلاثاً فاشتد الحصار عليهم فقال شبث لابن مطيع : انظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غنى عنك ولا عن أنفسهم . فقال : أشيروا علي فقال شبث : الرأي أن تأخذ لنفسك ولنا أماناً وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك ، فقال ابن مطيع : إني لأكره أن آخذ منه أماناً والأمور لأمير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة قال :فتخرج ولا يشعر بك أحد فتنزل بالكوفة عند من تثق إليه حتى تلحق بصاحبك ، وأشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد ، وأسماء بن خارجة ، وابن مخنف، وأشراف الكوفة فأقام حتى أمسى وقال لهم : قد علمت أن الذين صنعوا هذا بكم أنهم أراذلكم وأخساؤكم وإن أشرافكم وأهل الفضل منكم سامعون مطيعون وأنا مبلغ ذلك صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم حتى كان الله الغالب على أمره فأثنوا عليه خيراً. وخرج عنهم وأتى دار أبي موسى، فجاء ابن الأشتر ونزل القصر ففتح الباب وقالوا: يا ابن الأشتر آمنون نحن؟ قال: أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار ودخل المختار القصر فبات فيه، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر.

وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً وقضاء مقضياً وقد خاب من افترى، أيها الناس إنا رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا في الراية أن ارفعوها وفي الغاية أن أجروا إليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلى في الواعية وبعداً لمن طغى وأدبر وعصى وكذب وتولى، ألا فادخلوا أيها الناس وبايعوا بيعة هدى، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً، والأرض فجاجاً سبلاً، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب، وآل علي أهدى منها. ثم نزل ودخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله (ص) والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا. وكان ممن بايعه المنذر بن حسان، وابنه حسان، فلما خرجا من عنده استقبلهما سعيد بن منقذ الثوري في جماعة من الشيعة فلما رأوهما قالوا: هذان والله من رؤوس الجبارين فقتلوا المنذر وابنه حسان فنهاهم سعيد حتى يأخذوا أمر المختار فلم ينتهوا فلما سمع المختار ذلك كرهه. وأقبل المختار يمني الناس ويستجر مودة الأشراف ويحسن السيرة، وقيل له: أن ابن مطيع في دار أبي موسى فسكت فلما أمسى بعث له بمائه ألف درهم وقال: تجهز بهذه فقد علمت مكانك وأنك لم يمنعك من الخروج إلا عدم النفقة وكان بينهما صداقة ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف ألف

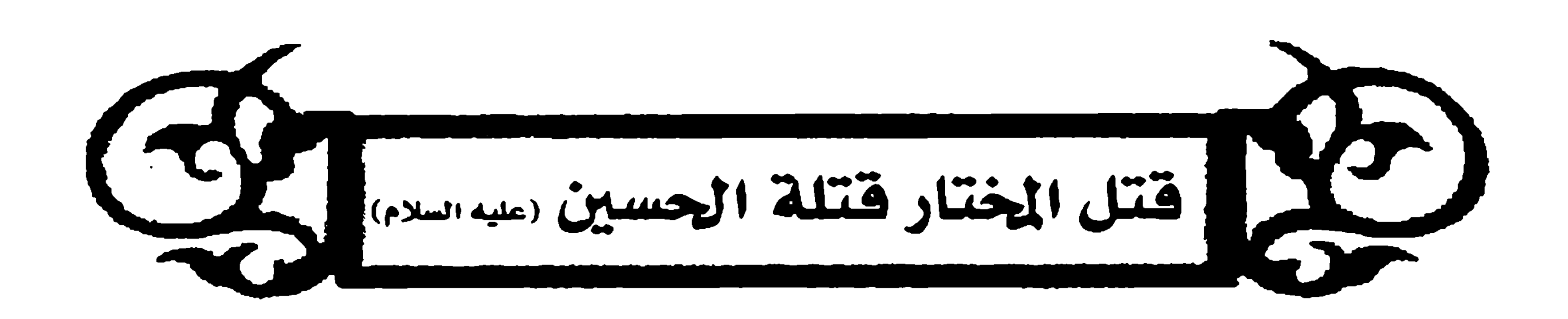
فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة وخمسمائة لكل رجل منهم خمسمائة درهم، وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعدها أحاط بالقصر وأقاموا معه تلك الليلة وتلك الأيام الثلاثة مائتين مائتين، واستقبل الناس بخير وجعل الأشراف جلساءه، وجعل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة، فقام أبو عمره على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الأشراف بحديثه ووجهه فقال لأبي عمره بعض أصحابه من الموالي: أما ترى أبا اسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا، فسأله المختار عما قالوا له فأخبره فقال: قل لهم لا يشق عليهم ذلك فأنتم مني وأنا منكم وسكت طويلاً ثم قرأ: ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾[1] فلما سمعوها قال بعضهم لبعض: أبشروا كأنكم والله قد قتلتم . يعني الرؤساء .

وكان أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحرق أخي الأشتر على أرمينية، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان. وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل، وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جوخى، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن زمعة النصري حليف ثقيف على بهقباذ الأعلى. وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهبقاذ الأوسط، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان ومره بقتال الأكراد وإقامة الطرق، وكان أبن الزبير قد استعمل على الموصل محمد

---

(١) سورة السجدة-٢٢-

بن الأشعث بن قيس، فلما ولي المختار وبعث عبد الرحمن بن سعيد إلى الموصل أميراً سار محمد عنها إلى تكريت ينظر ما يكون من الناس ثم سار إلى المختار فبايعه ، فلما فرغ المختار مما يريد صار يجلس للناس ويقضي بينهم ، ثم قال : إن لي فيما أحاول لشغلاً عن القضاء ، ثم أقام شريحاً يقضي بين الناس ثم خافهم شريح فتمارض ، وكانوا يقولون أنه عثماني ، وإنه شهد على حجر بن عدي ، وإنه لم يبلغ هانىء بن عروة ما أرسله به . وإن علياً عزله عن القضاء ، فلما بلغ شريحاً ذلك منهم تمارض فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي .



قتل المختار قتلة الحسين (عليه السلام)

وفي هذه السنة وثب المختار بمن في الكوفة من قتلة الحسين ، وكان سبب ذلك أن مروان بن الحكم لما استوثقت له الشام بعث جيشين ، أحدهما إلى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وقتله، والجيش الآخر إلى العراق مع عبيد الله بن زياد ؛ وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين ، وكان قد جعل لإبن زياد ما غلب عليه وأمره أن ينهب الكوفة ثلاثاً ، فاحتبس بالجزيرة وبها قيس عيلان مع زفر بن الحرث على طاعة ابن الزبير ، فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلاً بهم عن العراق نحو سنة فتوفي مروان وولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان فأقرّ ابن زياد على ما كان أبوه ولاه وأمره بالجد في أمره .

فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قيس شيء أقبل إلى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى المختار يخبره بدخول يزيد بن أنس الأسدي وأمره أن يسير إلى الموصل فينزل بأداني أرضها حتى يمده بالجنود ، فقال له يزيد : خلني أنتخب ثلاثة آلاف فارس

وخلني مما توجهني إليه فإن احتجت كتبت إليك أستمدّك فأجابه المختار ، فانتخب له ثلاثة آلاف وسار عن الكوفة وسار معه المختار والناس يشيعونه ، فلما ودعه قال له : إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها وليكن خبرك كل يوم عندي وإن احتجت إلى مدد فاكتب إلي مع أني ممدك وإن لم تستمد لأنه أشد لعضدك وأرعب لعدوك ، ودعا الناس له بالسلامة ودعا لهم فقال لهم: سلوا الله لي الشهادة فوالله لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة .

فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد إلى المدائن ثم سار إلى أرض جوخىٍ والراذانات إلى أرض الموصل فنزل بباقلى[1] وبلغ خبره ابن زياد فقال: لأبعثن إلى كل ألف ألفين ، فأرسل ربيعة بن مخارق الغنوي في ثلاثة آلاف ، وعبد الله بن جملة الخثعمي في ثلاثة آلاف، فسار ربيعة قبل عبد الله بيوم فنزل يزيد بن أنس بباقلي، فخرج يزيد بن أنس وهو مريض شديد المرض راكب على حمار يمسكه الرجال فوقف على أصحابه وعباهم وحثهم على القتال وقال: إن هلكت فأميركم ورقاء بن العازب الأسدي فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة العذري فإن هلك فأميركم سعر بن أبي سعر الحنفي على ميمنته عبد الله، وعلى ميسرته سعرا، وعلى الخيل ورقاء، ونزل هو فوضع بين الرجال على سرير وقال: قاتلوا عن أميركم

(١) في الطبري «فنزل ببنات تلى» ولعلها بنات قين.

إن شئتم أو فروا عنه وهو يأمر الناس بما يفعلوه ثم يغمي عليه ثم يفـ ق.

واقتتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفة واشتد قتالهم إلى ارتفاع الضحى فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم وانتهى أصحاب يزيد إلى ربيعة بن مخارق وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادي يا أولياء الحق أنا ابن خارق إنما تقاتلون العبيد الأباق ومن ترك الإسلام وخرج منه فاجتمع إليه جماعة فقاتلوا معه فاشتد القتال، ثم انهزم أهل الشام، وقتل ربيعة بن مخارق عبد الله بن ورقاء الأسدي، وعبد الله بن ضمرة العذري، فلم يسر المنهزمون غير ساعة حتى لقيهم عبد الله أبن جملة[1] في ثلاثة آلاف فرد معه المهزمين ونزل يزيد ببقلى فباتوا ليلتهم يتحارسون، فلما صبحوا يوم الأضحى خرجوا على القتال فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم نزلوا فصلوا الظهر ثم عادوا إلى القتال فانهزم أهل الشام، وترك ابن جملة في جماعة فقاتل قتالاً شديداً فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله، وحوى أهل الكوفة عسكرهم وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وأسروا منهم ثلاثمائة أسر وأمر يزيد بن أنس بقتلهم وهو بآخر رمق فقتلوا، ثم مات آخر النهار فدفنه أصحابه وسقط في أيديهم، وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الأسدي فصلى عليه ثم قال لأصحابه: ماذا ترون؟ أنه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل إليكم في ثمانين ألفاً وإنما

---

(١) في الطبري «إبن حملة» بالحاء المهملة.

أنا رجل منكم فاشيروا علي فإني لا أرى لنا بأهل الشام طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد وتفرق عنا بعض من معنا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا: إنما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا هائبين وإن لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فإن هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إياهم بالأمس. فقالوا: نعم ما رأيت. فانصرفوا فبلغ ذلك المختار، وأهل الكوفة فأرجف الناس بالمختار وقالوا: إن يزيد قتل ولم يصدقوا أنه مات، فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له: سر فإذا لقيت جيش يزيد بن أنس فأنت الأمير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد، واصحابه فتناجزهم، فخرج إبراهيم فعسكر بحمام أعين وسار، فلما سار اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن ربعي وقالوا: والله إن المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد أذرى[1] بموالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم فيئنا، وكان شبث شيخهم وكان جاهلياً إسلامياً فقال لهم شبث: دعوني حتى ألقاه، فذهب إليه فلم يدع شيئاً أنكروه إلا ذكره له فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار: أنا أرضيهم في هذه الخصلة وآتي لهم كل ما أحبوا، وذكر له الموالي ومشاركتهم في الفيء فقال له: إن أنا تركت مواليكم وجعلت فيئكم لكم تقاتلون معي بن أمية، وابن الزبير وتعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه وما اطمئن إليه

---

(١) في الأصل «آذى بموالينا»

من الإيمان؟ فقال شبث: حتى أخرج إلى أصحابي فاذكر لهم ذلك، فخرج إليهم فلم يرجع إليه وأجمع رأيهم على قتاله.

فاجتمع شبث بن ربعي، ومحمد بن الأشعث، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وشمر حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فكلموه في ذلك فأجابهم إليه، فخرجوا من عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فدعوه إلى ذلك فقال لهم: أن أطعتموني لم تخرجوا فقال له: لم؟ فقال: لأني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم وفرسانكم مثل فلان وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم، وإن انتظرتموه قليلاً كفيتموه بقدوم أهل الشام ومجيء أهل البصرة فتكفونه بغيركم[1] ولم تجعلوا بأسكم بينكم فقالوا: ننشدك الله أن تخالفنا ونفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه، فقال: إنما أن رجل منكم، فإن شئتم فاخرجوا، فوثبوا بالمختار بعد مسير إبراهيم بن الأشتر وخرجوا بالجبابين كل رئيس بجبانة, فلما بلغ المختار خروجهم أرسل قاصداً مجداً إلى إبراهيم بن الأشتر فلحقه وهو بساباط فأمره بالرجوع والسرعة وبعث المختار إليهم في ذلك أخبروني ماذا تريدون فإني صانع كل ما أحببتم ؟ قالوا : أن تعتزلنا فإنك

---

(١) في الطبري «فتكون قد كفيتموه بغيركم» وهي أظهر.

زعمت[1] أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك قال : فأرسلوا إليه وفداً من قبلكم وأرسل أنا إليه وفداً ثم انظروا في ذلك حتى يظهر لكم - وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه إبراهيم بن الأشتر - وأمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك فلا يصل إليهم شيء إلا القليل ، وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان فقاتله بنو شاكر قتالاً شديداً فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى ردّهم عنه ، ثم أقبل فنزل عقبة مع شمر ومعه قيس عيلان في جبانة سلول ، ونزل عبد الله بن سبيع مع أهل اليمن في جبانة السبيع. ولما سار رسول المختار وصل إلى ابن الأشتر عشية يومه فرجع ابن الأشتر بقية عشيته تلك الليلة ثم نزل حتى أمسى وأراحوا دوابهم قليلاً ثم سار ليلته كلها ومن الغد فوصل العصر وبات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة .

ولما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلوات فكره كل رأس من أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: هذا أول الاختلاف قدموا الرضى فيكم سيد القراء رفاعة بن شداد البجلي ففعلوا فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة، ثم إن المختار عبى اصحابه في السوق وليس فيه بنيان فأمر ابن الأشتر فسار

---

(١) في الأصل «عزمت» وهي غلط.

إلى مضر وعليهم شبث بن ربعي، ومحمد بن عمير بن عطارد وهم بالكناسة، وخشي أن يرسله إلى أهل اليمن فلا يبالغ في قتاله قومه، وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ووقف عند دار عمرو بن سعيد[١] وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلي، وعبد الله بن كامل الشاكري، وأمر كلاً منهما بلزوم طريق ذكره له يخرج إلى جبانة السبيع وأسر إليهما أن شباماً قد أرسلوا إليه يخبرونه أنهم يأتون القوم من ورائهم، فمضيا كما أمرهما فبلغ أهل اليمن مسيرهما فافترقوا إليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس، ثم انهزم أصحاب أحمر بن شميط، وأصحاب ابن كامل ووصلوا إلى المختار.

فقال: ما وراءكم؟ قالوا: هزمنا وقد نزل أحمر بن شميط ومعه ناس من أصحابه. وقال أصحاب ابن كامل: ما ندري ما فعل ابن كامل. فأقبل بهم المختار نحو القوم حتى بلغ دار أبي عبد الله الجدلي فوقف.

ثم أرسل عبد الله بن قراد الخثعمي في أربعمائه إلى ابن كامل وقال له: إن كان قد هلك فأنت مكانه وقاتل القوم وإن كان حياً فاترك عنده ثلاثمائة من أصحابك وامض في مائه حتى تأتي جبانة السبيع فتأتي أهلها من ناحية حمام قطن، فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من أصحابه قد صبروا معه فترك عنده ثلاثمائة رجل وسار في مائة

(١) في الطبري «عند دار عمر بن سعد بن أبي وقاص» وهي الصحيحة.

حتى أتى مسجد عبد القيس، وقال لأصحابه: إني أحب أن يظهر المختار وأكره أن تهلك أشراف عشيرتي اليوم ووالله لأن أموت أحب إلي من أن يهلكوا على يدي ولكن قفوا فقد سمعت أن شباماً يأتونهم من ورائهم فلعلهم يفعلون ذلك ونعافى نحن منه فأجابوه إلى ذلك. فبات عند مسجد عبد القيس.

وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي وكان شجاعاً، وعبد الله بن شريك النهدي في أربعمائة[1] إلى أحمر بن شميط فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه فاشتد قتالهم عند ذلك، وأما ابن الأشتر فإنه مضى إلى مضر فلقي شبث بن ربعي ومنه معه فقال لهم إبراهيم: ويحكم انصرفوا فما أحب أن يصاب من مضر على يدي فأبوا وقاتلوا فهزمهم وجرح حسان بن فائد العبسي فحمل إلى أهله فمات، فكان مع شبث وجاءت البشارة إلى المختار بهزيمة مضر، فأرسل إلى أحمر بن شميط، وابن كامل يبشرهما فاشتد أمرهما فاجتمع شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ليأتوا اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض: لو جعلتم جدكم على مضر وربيعة لكان أصوب - وأبو القلوص ساكت -فقالوا: ما تقول؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾[2] فساروا معه

(١) في الطبري «في مائتين».

(١) سورة التوبة-١٢٣

نحو أهل اليمن، فلما خرجوا إلى جبانة السبيع لقيهم على فم السكة الأعسر الشاكري فقتلوه ونادوا في الجبانة وقد دخلوها يا لثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير ذي مران الهمداني فقال: يالثارات عثمان. فقال لهم رفاعة بن شداد: ما لنا ولعثمان؟ لا أقاتل مع قوم يبغوم دم عثمان. فقال له ناس من قومه جئت بنا واطعناك حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف. قلت: انصرفوا ودعوهم، فعطف عليهم وهو يقول:

أنا ابن شـــداد على ديـــن علي
لـست لعثمـــان بن أروى بولي
لآصلبن اليوم فيـــمن يصطلي
بحرِّ نـــار الحرب غير مؤتلي

فقاتل حتى قتل، وكان رفاعة مع المختار فلما رأى كذبه أراد قتله غيلة قال:

فمنعني قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) « من ائتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريء»، فلما كان هذا اليوم قاتل مع أهل الكوفة، فلما سمع يزيد بن عمير يقول: يا لثارات عثمان عاد عنهم فقاتل مع

المختار حتى قتل، وقتل يزيد بن عمير بن ذي مران، والنعمان بن صهبان الجرمي وكان ناسكاً، وقتل الفرات بن زحر بن قيس وجرع أبوه زحر، وقتل عبد الله بن سعيد بن قيس[1] وقتلعمر بن مخنف، وقاتل عبد الرحمن مخنف حتى جرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر، وقاتل حوله رجال من الأزد وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأخذ من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأمر المختار بإحضارهم وعرضهم عليه وقال: انظروا من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني فقتل كل من شهد منهم قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه يقتلون كل من كان يؤذيهم؛ فلما سمع المختار بذلك أمر بإطلاق كل من بقي من الأسارى وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدواً ولا يبغوه وأصحابه غائلة، ونادى منادي المختار مَن أغلق بابه فهو آمن إلاّ من شرك في دماء آل محمد (ص)، وكان عمر بن الحجاج الزبيدي ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم يرَ له خبر حتى الساعة.

وقيل: أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدّة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه، ولما قتل فرات بن زحر بن قيس أرسلت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفيّة وكانت امرأة الحسين إلى المختار تسأله أن يأذن لها في دفنه ففعل فدفنته، وبعث المختار غلاماً له يدعى زربي في طلب

---

(١) في الطبري «وقتل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس»

شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحابه فلما دنوا منه قال الشمر لأصحابه: تباعدوا عنّي لعله يطمع في فتباعدوا عنه فطمع زربي فيه ثم حمل عليه شمر فقتله، وسار شمر حتى نزل مساء ساتيدما ثم سار حتى نزل قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر إلى جانب تل، ثم أرسل إلى أهل تلك القرية فأخذ منها علجاً فضربه وقال: امضِ بكتابي هذا إلى مصعب بن الزبير فمض العلج حتى دخل القرية وفيها إبن عمرة صاحب المختار وكان قد أرسله المختار إلى تلك القرية ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة فلقي ذلك العلج علجاً آخر من تلك القرية فشكا إليه ما لقي من شمر فبينما هو يكلمه إذ مرّ به رجل من أصحاب أبي عمرة إسمه عبد الرحمن بن أبي الكنود فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب بن الزبير من شمر فقال للعلج: أين هو؟ فأخره فإذا ليس بينه وبينهم إلا ثلاثة فراسخ قال: فأقبلوا يسيرون إليه وكان قد قال لشمر أصحابه: لو إرتحلت بنا من هذه القرية فإنا نتخوف منها، فقال: كل هذا فزعاً من الكذاب والله لا أتحول منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبهم رعباً فإنهم لنيام إذا سمع وقع الحوافر فقالوا في أنفسهم: هذا صوت الدبى ثم إشتد فذهب أصحابه ليقوموا فإذا بالخيل قد أشرفت من التل فكبروا وأحاطوا بالأبيات فولى أصحابه هاربين وتركوا خيولهم، وقام شمر وقد إتزر -ببرد وكان أبرص فظهر بياض برصه من فوق البرد- وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه وكان أصحابه قد فارقوه، فلما أبعدوا عنه

سمعوا التكبير وقائلاً يقول: قتل الخبيث قتله أبن أبي الكنود وهو الذي رأى الكتاب مع العلج وألقيت جثته للكلاب، قال: وسمعته بعد أنْ قاتلنا بالرمح ثم ألقاه وأخذ السيف فقاتلنا به وهو يرتجز شعراً:

نبهتُم ليث عرين بـاسلاً   جهماً مُحياه يدقُّ الكاهلا
لم يُر يوماً عم عدوٌ ناكلا   إلاّ كذا مـقاتلاً أو قاتلا
ينزحُهم[1] ضرباً ويروي العاملا

وأقبل المختار إلى القصر من جبانة السبيع ومعه سراقة بن مرداس البارقي أسيراً فناداه شعراً:

أمنن عليّ اليوم يا خير معد   وخير من حل بتجر[2] والجند
وخير من لبى وحيا وسجد.

فأرسله المختار إلى السجن ثم أحضره من الغد فأقبل أليه وهو يقول شعراً:

ألا أبلغ أبـــا إســحاق أنا
نـــزونا نزوة كـــانت عــلينا

(١) في الطبري «يبرحهم ضرباً».

(٢) في الطبري «من حلّ بشحر».

خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً

وكان خروجنا بطراً وحينا[١]

لقينا منهم ضرباً طلحفاً

وطعناً صائباً حتى إنثنينا

نصرت على عدوك كلَّ يوم

بكل كتيبة تنعى حُسيناً

كنصر محمد في يوم بدرٍ

ويوم الشعب إذ لاقى حُنينا

فأسجح إذ ملكت فلو ملكنا

لجرنا في الحكومة وإعتدينا

تقبل توبةً مني فأني

سأشكر إذ جعلت النقد دينا

قال: فلما إنتهى إلى المختار قال: أصلح الله الأمير أحلف بالله الذي

---

(١) وبعد هذين البيتين بيتان ذكرهما الطبري وهما:

نراهم في مصافهم قليلا

وهم مثل الدبى حين إلتقينا

برزنا إذ رأيناهم فلما

رأينا القوم قد برزوا إلينا

لا إله إلا هو لقد رأيت الملائكة تُقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والأرض، فقال له المختار: إصعد المنبر فأعلم الناس فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له:إنما أردت ما قد عرفت أنْ لا أقتلك فإذهب عني حيث شئت، فخرج إلى البصرة فنزل عند مصعب وقال شعراً:

ألا أبـــلغ أبـــا إســـحاق أني

رأيـــت البُلق دهــماً مصمتات

كفرت بوحيكم وجــعلت نذراً

عـــليّ قتـــالكم حتى المـــمات

أُري عـــيني مـــا لم تبصراه

كـــلانا عـــــالمٌ بالتُرهات[1]

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وادعى قتله سعر بن أبي سعر، وأبو الزبير الشبامي -وشبام بن همدان- ورجل آخر فقال إبن عبد الرحمن لأبي الزبير الشبامي: أتقتل أبي عبد الرحمن سيد قومك؟ فقرأ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من

---

(١) سقط هنا بيت ذكره الطبري وهو:

إذا قالوا أقول لـهم كذبتم

وإن خرجوا لـبست لهم أداتي

حادّ الله ورسوله﴾[1] الآية، وإنجلت الواقعة عن سبعماية وثمانين قتيلاً من قومه، وكان أكثر القتل ذلك اليوم في أهل اليمن، وكانت الوقعة لست ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ست وستين، وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرّد المختار لقتلة الحسين وقال: ما من ديننا أنْ نترك قتلة الحسين أحياء بئس ناصر آل محمد صلى الله عليه وآله أنا إذاً في الدنيا أنا إذاً كما سموني وإني أستعين بالله عليهم فسموهم لي ثم إتبعوهم حتى تقتلوهم لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم، فدل على عبد الله بن أسيد الجهني، ومالك بن بشير البدي، وحمل بن مالك المحاربي فبعث إليهم المختار فأحضرهم من القادسية فلما رآهم قال: يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن علي؟ أدوا إلي الحسين، قتلتم من أُمرتم بالصلاة عليهم؟ فقالوا: رحمك الله بعثنا كارهين فأمنن علينا وإستبقنا فقال لهم: هلا مننتم على الحسين أبن بنت نبيكم فإستبقيتموه وسقيتموه.

وكان البدي صاحب برنسه فأمر بقطع يديه ورجليه وترك يضطرب حتى مات وقتل الآخرين، وأمر بزياد بن مالك الضبعي، وبعمران بن خالد القشيري، وبعبد الرحمن بن أبي خشارة البجلي، وبعبد الله بن

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢٢.

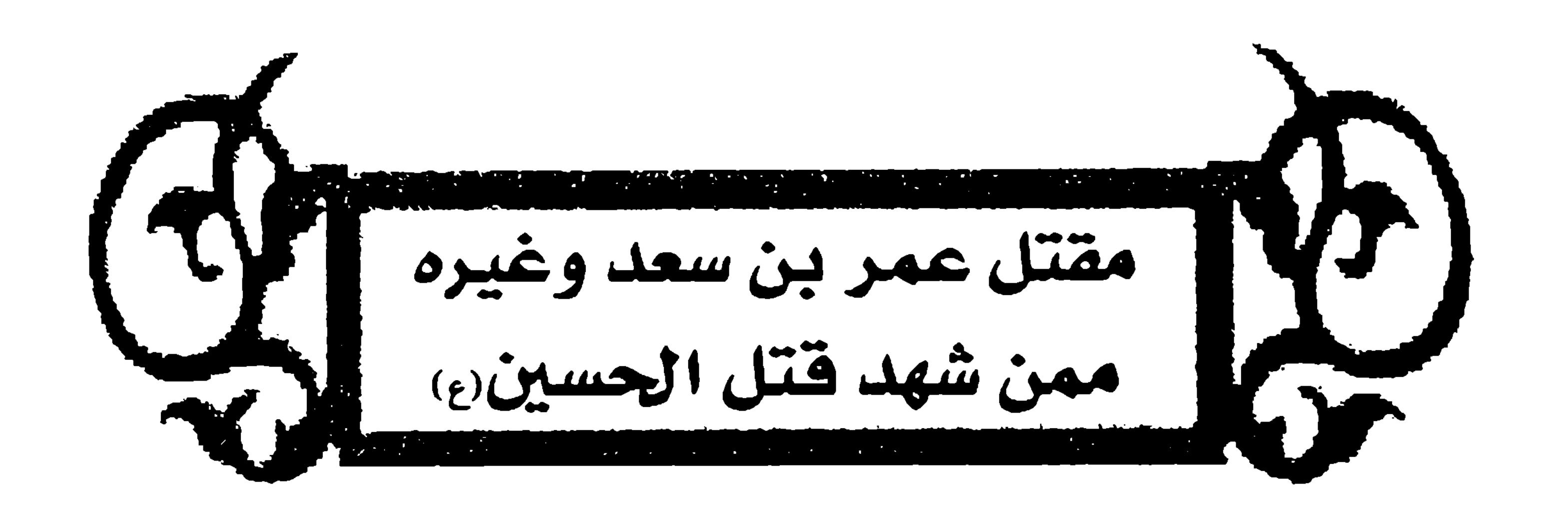
قيس الخولاني فأحضروا عنده فلما رآهم قال: يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة قد أقاد الله منكم اليوم لقد جاءكم الورس في يوم نحس -وكانوا نهبوا من الورس الذي كان مع الحسين- ثم أمر بهم فقتلوا، وأحضروا عنده عبد الله، وعبد الرحمن إبني صلحت[١]، وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمداني وهو إبن عم أعشى همدان فأمر بقتلهم فقتلوا، وأحضر عنده عثمان بن خالد بن أسيد[٢] الدهماني الجهني وأبو أسماء بشر بن شميط القانصي[٣] وكانا قد إشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه فضرب أعناقهم وأحرقا بالنار، ثم أرسل إلى خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين- فإختفى في مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عليه فخرجت إمرأته وإسمها العيوف بن مالك وكانت تُعاديه منذ جاء برأس الحسين، فقالت لهم: ما تريدون؟ فقالوا لها: أين زوجك؟ فقالت: لا أدري وأشارت بيده إلى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله وأحرقوه بالنار. وسوف نذكر ذلك بالتفصيل إن شاء الله (تعالى).

---

(١) في الطبري «صلخب»

(٢) في الطبري «أسير» بالراء

(٣) في الطبري «ابن سوط القابضي»



مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين(ع)

ثم أن اختار قال يوماً لأصحابه: لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين، وكان عنده الهيثم بن الأسود النخعي فعلم أنه يعني عمر بن سعد فرجع إلى منزله وأرسل إلى عمر مع ابنه العريان يعرفه ذلك، فلما قاله له قال: جزى الله أباك خيراً كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق؟ وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم الناس على المختار لقرابته بعلي وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أماناً من المختار ففعل، وكتب له المختار أماناً وشرط فيه أن لا يتحدث -وعنى بالحدث دخول الخلاء- ثم إن عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه فأتى حمامه فأخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه: وأي حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت إلى هنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلاً فرجع وأتى المختار فأخبره بإطلاقه[١] فقال: كلا إن في عنقه سلسلة سترده،

(١) في الطبري «بانطلاقه» وهي الصواب

وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة فأتاه وقال: أجب الأمير فقام عمر فعثر في جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار فقال المختار لإبنه حفص بن عمر وهو جالس عنده: أتعرف مَن هذا؟ قال: نعم ولا خير في العيش بعده، فامر به فقتل، وقال المختار: هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله.

وكان السبب في تهيج المختار على قتله أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتي محمد بن الحنفية وسلّم عليه وجرى الحديث إلى أن تذاكرا المختار فقال ابن الحنفيّة: إنه يزعم أنه لنا شيعة وقتله الحسين عنده على الكراسي يحدثونه، فلما عاد يزيد أخبر المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفيّة وكتب إليه يعلمه أنه قد قتل من قدر عليه وأنه في طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين، قال عبد الله بن شريك: أدركت أصحاب الأردية[1] المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله، وقال ابن سيرين: قال علي لعمر بن سعد: كيف وأنت إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار؟ ثم أن المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائي وكان أصاب

(١) في الأصل الأزدية وقد أثبتنا الصواب من الطبري.

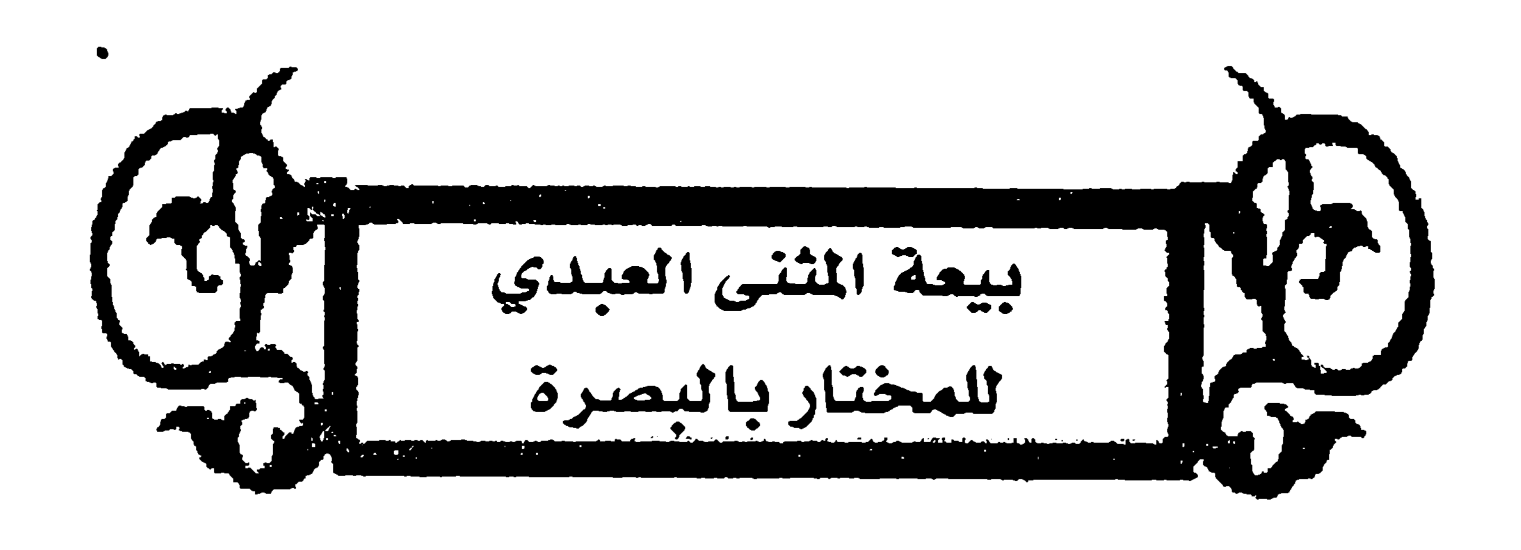
سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم وكان يقول تعلق سهمي بسرباله وما ضره فأتاه أصحاب المختار فأخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدي بن حاتم فكلمهم عدي فيه فقالوا: ذلك إلى المختار فمضى عدي إلى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة: إنا نخاف أن يشفعه المختار فيه فقتلوه رمياً بالسهام كما رمي الحسين حتى صار كأنه القنفذ، ودخل عدي بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه فشفع فيه عدي فقال المختار: أتستحل أن تطلب في قتلة الحسين؟ فقال عدي: إنه مكذوب عليه قال: إذاً ندعه لك، فدخل ابن كامل فأخبر المختار بقتله فقال: ما أعجلكم إلى ذلك؟ ألا أحضرتموه عندي؟ وكان قد سره قتله فقال ابن كامل: غلبتني عليه الشيعة، فقال عدي لإبن كامل: كذبت ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فقتلته، فسبه إبن كامل فنهاه المختار عن ذلك، وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين وهو مرة بن منقذ- من عبد القيس وكان شجاعاً فأحاطوا بداره فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك.

وبعث المختار إلى زيد بن رقاد الجنبي كان يقول: لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته فما إستطاع أنْ يزيل كفه عن جبهته وكان ذلك الفتى -عبد الله بن مسلم

بن عقيل- وأنه قال حين رميته: اللهم إنهم إستقلونا وإستذلونا فأقتلهم كما قتلونا. ثم أنه رمى الغلام بسهم آخر، وكان يقول: جئته وهو ميت فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه ولم أزل أنضنض الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقى النصل، فلما أتاه أصحاب المختار خرج إليهم بالسيف فقال لهم: إبن كامل: لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن إرموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فأحرقوه حياً، وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين فرآه قد هرب إلى البصرة فهدم داره، وطلب عبد الله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب إلى الجزيرة فهدم داره وكان قد قتل منهم غلاماً، وطلب آخر من بني أسد يُقال له حرملة بن الكاهن كان قد قتل رجلاً من أهل الحسين ففاته، وطلب أيضاً رجلاً من خثعم إسمه عبد الله بن عروة الخثعمي كان يقول: رميت فيهم بإثني عشر سهماً ففاته ولحق بمصعب بن الزبير فهدم داره، وطلب أيضاً عمرو بن الصبيح الصدائي كان يقول: لقد طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم أحداً فأتى ليلاً فأخذ وأحضر عند المختار فأمر بإحضار الرماح وطعن بها حتى مات.

وأرسل إلى محمد بن الأشعث -وهو في قرية له إلى جنب القادسية- فطلبوه فلم يجدوه وكان قد هرب إلى مصعب فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي وكان زياد قد هدمها. (بحير بن ريسان) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة. (شبام) بكسر

الشين المعجمة والباء الموحدة بطن من همدان. و(همدان) بسكون الميم وبالدال المهملة. (سعر) بكسر السين المهملة و(أحمر بن شميط) بالحاء والراء المهملتين، و(شميط) بالسين المعجمة، و(شبث) يفتح الشين المعجمة والباء الموحدة (جبانة أثير) بضم الهمزة وبالثاء المثلثة وبالياء المثناة من تحت وبالراء المهملة (عتيبة بن النهاس) بالعين المهملة وبالتاء المثناة من فوق ثم بالياء المثناة من تحت وبالباء الموحدة (حسان بن فائد) بالفاء.



بيعة المثنى العبدي للمختار بالبصرة

وفي هذه السنة دعا المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة إلي بيعة المختار، وكان ممن شهد عيد الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع فبايع للمختار فسيره إلى البصرة يدعو بها إليه، فقدم البصرة ودعا بها فأجابه رجال من قومه وغيرهم، ثم أتي مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الميرة بالمدينة. فوجه إليهم القباع أمير البصرة ودعا بها عباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة فخرجوا إلى السبخة. ولزم الناس بيوتهم فلم يخرج أحد، وأقبل عباد فيمن معه فتواقف هو والمثنى فسار عباد نحو مدينة الرزق وترك قيساً مكانه. فلما أتى عباد مدينة الرزق أصعد سورها ثلاثين رجلاً وقال لهم: إذا سمعتم التكبير فكبروا ورجع عباد إلى قيس وأنشبوا القتال مع المثنى، وسمع الرجال الذين في دار الرزق التكبير فكبروا وهرب من كان بالمدينة وسمع المثنى التكبير من ورائهم فهرب فيمن معه فكفّ عنهم قيس وعبّاد ولم يتبعوهم، وأتى المثنى قومه عبد القيس فأرسل القباع

عسكراً إلى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه، فلما رأى زياد بن عمرو العتكي ذلك أقبل إلى القباع فقال له: لتردن خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنهم. فأرسل القباع الأخنف بن قيس، وعمرو بن عبد الرحمة المخزومي ليصلحا بين الناس فأصلح الأحنف الأمر على أنْ يخرج المثنى وأصحابه عنهم فأجابوه إلى ذلك وأخرجوهم عنهم فسار المثنى إلى الكوفة في نفر يسير من أصحابه.

المختار وابن الزبير

فلما أخرج المختار عامل إبن الزبير عن الكوفة -وهو إبن مطيع- سار إلى البصرة وكره أنْ يأتي إبن الزبير مهزوماً فلما إستجمع للمختار أمر الكوفة أخذت يخادع إبن الزبير فكتب إليه: قد عزمت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عدواتك وما كنت أعطيتني إذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيت لك لم تف بما عاهدتني عليه فإن ترك مراجعتي ومناصحتي فعلت والسلام، وكان قصد المختار أنْ يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره والشيعة لا يعلمون بشي من أمره. فأراد ابن الزبير إنْ يعلم اسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي فولاه الكوفة وقال له: إنّ المختار سامع مطيع فتجهز بما بين ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألفاً وسار نحو الكوفة. وأتى الخبر إلى المختار بذلك فدعا المختار زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له: هذا ضعف ما أنفق عمر بن عبد الرحمن في طريقه إلينا وأمره أنْ يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتى يلقاه بالطريق ويعطيه النفقة

ويأمره بالعود فإنْ فعل وإلاّ فأره الخيل، فأخذ زائدة بن قدامة المال، وسار حتى لقي عمر فأعطاه المال وأمره بالإنصراف. فقال له: إنّ أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ولا بد من إيتانها. فدعا زائدة الخيل وكان قد كمنها فلما رآها قد أقبلت أخذ المال وسار نحو البصرة. فإجتمع هو وإبن مطيع في إمارة الحرث بن ابي ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة. وقيل: إنّ المختار كتب إلى إبن الزبير أني إتخذت الكوفة داراً فإنْ سوغتني ذلك وأمرت لي بألف درهم سرت إلى الشام فكفيتك إبن مروان. فقال إبن الزبير: إلى متى أماكر كذاب ثقيف ويماكرني ثم تمثل شعراً:

عاري الجواعر مـــن ثمود أصلُهُ

عبدٌ ويزعـــم أنـــه من يقدم

وكتب إليه والله ولا درهم:

ولا أمتري عبـــد الهوان ببدرتي

وإني لآتي الحتف ما دمت أسمعُ

ثمّ أن عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحرث بن أبي الحكم

بن أبي العاص إلى وادي القرى وكان المختار قد وادع إبن الزبير ليكف عنه ليتفرغ لأهل الشام، فكتب المختار إلى إبن الزبير: قد بلغني أنْ إبن مروان قد بعث إليك جيشاً فإن أحببت أمددتك بمدد فكتب إليه إبن الزبير: إنْ كُنت على طاعتي فبايع لي الناس قبلك وعجل إنفاذ الجيش ومرهم ليسيروا إلى من بوادي القرى من جند إبن مروان فليقاتلوهم والسلام، فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمداني فسيره في ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالي وليس منهم من العرب إلاّ سبعمائة رجل وقال: سر حتى تدخل المدينة فإذا دخلتها فأكتب إلي بذلك حتى يأتيك أمري - وهو يريد اذا دخلوا المدينة أنْ يبعث عليهم أميراً ثم يأمر إبن ورس بمحاصرة إبن الزبير بمكة - وخشى إبن الزبير أنْ يكون المختار إنما يكيده فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد في ألفين وأمره أنْ يستنفر الأعراب وقال له: إنْ رأيت القوم على طاعتي وإلاّ فكايدهم حتى تهلكهم، فأقبل عباس بن سهل حتى لقى إبن ورس بالرقيم وقد عبى إبن ورس أصحابه، وأتي عباس وقد تقطع أصحابه ورأى إبن ورس على الماء وقد عبى أصحابه فدنا منهم وسلم عليهم ثم قال لإبن ورس سراً: ألستم على طاعة إبن الزبير؟ قال: بلى قال: فسر بنا على عدوه الذي بوادي القرى فقال إبن ورس: ما أمرت بطاعتكم إنما أمرت أنْ آتي المدينة فإذا أتيتها رأيت رأيي، فقال له عباس: إن كنتم في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسيركم إلى وادي القرى، فقال: لا أتبعك أقدم

المدينة وأكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره، فقال عباس: رأيك أفضل، وفطن لما يريد وقال: أما أنا فسائر إلى وادي القرى، ونزل عباس أيضاً وبعث إلى ابن ورس بجزائر وغنم مسلخة وكانوا قد ماتوا جوعاً فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء، وجمع عباس من أصحابه نحو ألف رجل من الشجعان وأقبل نحو فسطاط ابن ورس، فلما رآهم نادى في أصحابه فلم يجتمع إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس[1] واقتتلوا يسيراً فقتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ، ورفع عباس راية أمان لأصحاب ابن ورس فأتوها إلا نحواً من ثلاثمائة رجل مع سليمان بن حمير الهمداني، وعباس بن جعدة الجدلي، فظفر ابن سهل منهم بنحو مائتين فقتلهم وأفلت الباقون فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق.

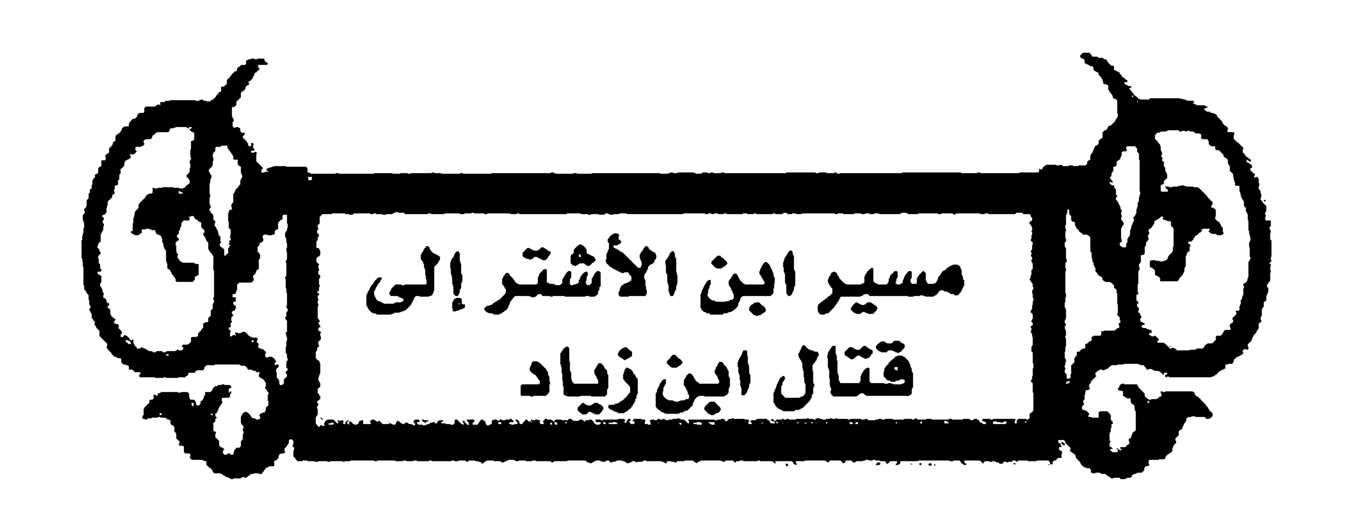
وكتب المختار بخبرهم إلى ابن الحنفيّة يقول: إني أرسلت إليك جيشاً ليذلوا لك الأعداء ويحرزوا البلاد فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا فإن رأيت أن أبعث إلى المدينة جيشاً كثيفاً وتبعث إليهم من قبلك رجلاً حتى يعلموا أني في طاعتك فافعل فإنك ستجدهم بحقّكم

---

(١) قال الطبري أن عباساً انتهى إليهم وهو يقول:

أنا ابن سـهل فارس غير وكل
أروع مقـدام إذا الكبش نكل
واعتلى رأس الطرماح البـطل
بالسيف يوم الروع حتى ينخزل

أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير والسلام، فكتب إليه ابن الحنفيّة: أما بعد فقد قرأت كتابك وعرفت تعظيمك لحقي وما تنوه به من سروري وإن أحب الأمور كلها إلي ما أطيع الله فيه فأطع الله ما استطعت، وإني لو أردت القتال لوجدت الناس إلي سراعاً والأعوان لي كثيراً ولكن أعتزلكم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وأمره بالكف عن الدماء.



مسير ابن الأشتر إلى قتال ابن زياد

وفي هذه السنة لثمان بقين من ذي الحجة سار إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد، وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السبيع بيومين، وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم[١] وأهل البصائر منهم ممن له تجربة وخرج معه المختار يشيعه، فلما بلغ دير عبد الرحمن بن أم الحكم لقيه أصحاب المختار معهم الكرسي يحملونه على بغل أشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه، وكان سادن الكرسي حوشب البرسمي فلما رآهم المختار قال:

أما ورب المرسلات عرفا ليقتلن بعد صف صفا

وبعد ألف قاسطين ألفا

ثم ودعه المختار وقال له: خذ عني ثلاثاً، خف الله عز وجلّ في سر

---

(١) في بعض انسخ ووجههم

أمرك وعلانيتك، وعجل السير، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم، ورجع المختار وسار إبراهيم فإنتهى إلى أصحاب الكرسي وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم إلى السماء يدعون الله تعالى، فقال إبراهيم: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا هذه سنة بني إسرائيل والذي نفسي بيده إذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا وسار إلى قصده.

مقتل ابن زياد

ولما سار إبراهيم بن الأشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق. وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام فبلغ الموصل وملكها كما ذكرناه أولاً. فسار إبراهيم وخلف أرض العراق وأوغل في أرض الموصل وجعل على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعي وكان شجاعاً. فلما دنا من ابن زياد عبى أصحابه ولم يسر إلا على تعبية واجتماع إلا أنه يبعث الطفيل على الطلائع حتى يبلغ نهر الخازر من بلاد الموصل. فنزل بقرية بارشيا وأقبل ابن زياد إليه حتى نزل قريباً منهم على شاطئ الخازر وأرسل عمير بن الحباب السلمي وهو من أصحاب ابن زياد إلى ابن الأشتر أن القني.

وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان من وقعة مرج راهط وجند عبد الملك يومئذ كلب، فاجتمع عمير، وابن الأشتر فأخبره عمير أنه على ميسرة ابن زياد وواعده أن ينهزم بالناس فقال له ابن الأشتر:

ما رأيك أخندق علي وأتوقف يومين أو ثلاث؟ فقال عمير: لا تفعل وهل يريدون إلا هذا؟ فإن المطاولة خير لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة ولكن ناجز القوم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً وإن هم شاموا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤوا عليهم، فقال إبراهيم: الآن علمت أنك لي مناصح وبهذا أوصاني صاحبي. قال عمير: أطعه فإن الشيخ قد ضرسته الحرب وقاسى منها ما لم يقاسه أحد وإذا أصبحت فناهضهم. وعاد عمير إلى أصحابه.

وأذكى ابن الأشتر ضرسه[١] ولم يدخل عينه غمض حتى إذا كان السحر الأول عبى أصحابه وكتب كتائبه وأمر أمراءه، فجعل سفيان بن يزيد الأزدي على ميمنته، وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته وهو أخو أبي الأحوص، وجعل عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمه على الخيل وكانت خيله قليلة، وجعل الطفيل بن لقيط على الرجالة، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك، فلما انفجر الفجر صلّى الصبح بغلس ثم خرج فصف أصحابه وألحق كل أمير بمكانه ونزل إبراهيم يمشي ويحرض الناس ويمنيهم الظفر، وسار بهم رويداً فأشرف على تل عظيم مشرف على القوم فجلس عليه وإذا أولئك القوم

---

(١) في الطبري «حرسه».

لم يتحرك منهم أحد، فأرسل عبد الله بن زهير السلولي ليأتيه بخبر القوم فعاد إليه وقال له: قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم وليس له كلام: ألا يا شيعة أبي تراب يا شيعة المختار الكذاب قال: فقلت له الذي بيننا أجل من الشتم، وركب إبراهيم وسار على الرايات يحثهم ويذكر لهم فعل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبي والقتل ومنع الماء وحرضهم على قتله، وتقدم القوم إليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكوني، وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي، وعلى الخيل شرحبيل ين ذي الكلاع الحميري، فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة إبراهيم فثبت له علي بن مالك الجشمي فقتل، ثم أخذ رايته قرة[١] بن علي فقتل في رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله(ص) فاستقبل المنهزمين فقال: إلي يا شرطة الله فأقبل إليه أكثرهم فقال: هذا أميركم يقاتل ابن زياد ارجعوا بنا إليه فرجعوا وإذا إبراهيم كاشف رأسه ينادي إليّ شرطة الله أنا ابن الأشتر إن خير فراركم كراركم ليس مسيئاً من أعتب، فرجع إليه أصحابه. وحملت ميمنة إبراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن

(١) في نسخة «قزة» بالزاي.

الحباب كما زعم فقاتلهم عمير قتالاً شديداً وأنف من الفرار، فلما رأى ذلك إبراهيم قال لأصحابه: اقصدوا هذا السواد الأعظم فوالله لئن هزمناه لا نجفل من ترون يمنة ويسرة انجفال طير ذعرت. فمشى أصحابه إليهم فتطاعنوا ثم صاروا إلى السيوف والعمد فاضربوا بها ملياً وكان صوت الضرب بالحديد كصوت القصارين وكان إبراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول: ليس لي متقدّم فيقول: بلى فإذا تقدم شد إبراهيم بسيفه فلا يضرب رجلاً إلا صرعه، وكر إبراهيم والرجالة بين يديه كأنهم الحملان وحمل أصحابه حملة رجل واحد وإشتد القتال فانهزم أصحاب ابن زياد وقتل من الفريقين قتلى كثيرة. وقيل: إن عمير بن الحباب أول من انهزم وإنما كان قتاله أولاً تعذيراً. فلما انهزموا قال إبراهيم: إني قد قتلت رجلاً تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر فالتمسوه فإنني شممت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فإذا هو ابن زياد قتيلاً بضربة إبراهيم فقد قدته بنصفين وسقط كما ذكر إبراهيم فأخذ رأسه وأحرقت جثته. وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه عبيد الله ابن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فنادى التغلبي أقتلوني وابن الزانية فقتلوا الحصين، وقيل: إن الذي قتل ابن زياد شريك بن جدير. وكان هذا شريك شهد صفين مع

علي وأصيبت عينه فلما انقضت أيام علي لحق شريك ببيت المقـدس فأقام به. فلما قتل الحسين عاهد الله تعالى إن ظهر من يطلب بدمه ليقتلن ابن زياد أو ليموتن دونه. فلما ظهر المختار للطلب بثأر الحسين أقبل إليه وسار مع إبراهيم بن الأشتر فلما التقوا حمل على خيل الشام يهتكها صفاً صفاً مع أصحابه من ربيعة حتى وصلوا إلى ابن زياد. وثار الرهج فلا تسمع إلا وقع الحديد فانفجر عن الناس وهما قتيلان شريك وابن زياد والأول أصح. وشريك هو القائل:

كـل عـيش قـد أراه باطلاً[1]

غـير ركز الـرمح في ظل الفرس

قال: وقتل شرحبيل ين ذي الكلاع الحميري وادعى قتله سفيان بن يزيد الأزدي، وورقاء بن عازب الأسدي، وعبيد الله بن زهير السلمي، وكان عيينة بن أسماء مع ابن زياد فلما انهزم أصحابه حملاً أخته هند بنت أسماء وكانت زوجة عبيدالله بن زياد فذهب بها وهو يرتجز:

أن تـصرمي حباً لنـا فربما

أرديت في الـهيجا الكميَّ المعلما

ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب إبراهيم فكان من غرق أكثر ممن قتل، وأصابوا عسكرهم وفيه من كل شيء، وأرسل إبراهيم

(١) في الطبري «قذرا»

البشارة إلى المختار وهو بالمدائن، وأنفذ إبراهيم عماله إلى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله إلى نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة، فولى زفر بن الحرث قرقيسيا، وحاتم بن النعمان الباهلي حران، والرها، وسميساط وناحيتها، وولى عمير بن الحباب السلمي كفرتوثا، وطور عبدين. وأقام إبراهيم بالموصل. وأنفذ رأس عبيد الله بن زياد إلى المختار ومعه رؤوس قواده فألقيت في القصر فجاءت حيّة دقيقة فتخلّلت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت في منخره وخرجت من فيه فعلت هذا مراراً أخرج هذا الترمذي في جامعه.

وقال المغيرة: أول من ضرب الزيوف في الإسلام عبيد الله بن زياد، وقال بعض حجاب ابن زياد: دخلت معه القصر حين قتل الحسين فاضطرم في وجهه ناراً. فقال بكمه هكذا على وجهه وقال: لا تحدثن بهذا أحداً.

وقال المغيرة: قالت مرجانة لابنها عبيد الله بعد قتل الحسين: يا خبيث قتلت ابن رسول الله (ص) لا ترى الجنة أبداً؛ وقال ابن مفرغ حين قتل ابن زياد:

إنَّ المنــايا إذا مــــا زُرْنَ طاغيةً

هتــكن أســتارَ حُجّابٍ وأبوابِ

أقول بُعْداً وَسُحْقاً عـــند مصرعِهِ
لابن الخبيثةِ وابن الكَوْدَنِ الكابي
لا أنت زوحمتَ عـــن ملكٍ فتمنعه
ولا مــتتَّ إلى قـــوم ٍبـــأسبابِ
لا مِنْ نزار ولا مـــن جِذْم ٍذي يَمَن ٍ
جلـمود ذا ألقيت مـن بين ألهاب
لا تقبل الأرض مـــوتاهم إذا قُبِرُوا
وكـــيف تقبلُ رِجْساً بـــين أثوابِ

وقال سراقة البارقي يمدح إبراهيم بن الأشتر:

أتاكم غلام مـــن عَرَانِين ِمـذحج ٍ
جريء عـلى الأعـداءِ غير ِنكول ِ
فيا ابنَ زيادِ بُؤْ بأعظم ِهـــالك ٍ
وذقْ حَدّ مــاضي الشفرتين ِصقيل ِ
جزى الله خيراً شـــرطةَ الله إنهم
شفَوْا مـــن عُبَيْدِ الله أمس ِغليلي(١)

(١)سقط من الأبيات بيت ذكره الطبري وهو البيت الثالث: ضربناك بالعضب الحسام بحدّة

وقال عمير بن الحباب السلمي يذمّ جيش ابن زياد:

ومـــا كان جيش يجمع الخمرَ والزنا

محـــلاً إذا لاقى الـــعدو لِيُنْصَرَا

أحوال قتلة الحسين في الكوفة

وحينما وصلت الأنباء إلى المختار بموت يزيد بن أنس، أرسل إليهم إبراهيم بن الأشتر وطلب منه أنْ يلتحق بجيش يزبد ويكون بديلاً عن ورقاء، ثمّ جاءت الإشاعات والدعايات أنّ جيش المختار قد ضعف أمام جيش عبيد الله بن زياد، مما دفع المنافقين - قتلة الحسين(ع)- أنْ يتحركوا من داخل الكوفة ويكونوا باعثاً لإضطراب الأوضاع الداخلية ضد المختار وهم شمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وعمر بن الحجاج الزبيدي وغيرهم ممّن أكبوا على النفاق والبُغض لأهل البيت(ع)، فاجتمعوا في بيت شبث بن ربعي وتكلموا عن طريقة الإستفادة من هذه الفرصة وإسقاط حُكم المختار. فانتظروا حتى خرج إن الأشتر من الكوفة ووصل «ساباط» فقاموا مع جملة من المنافقين أمثالهم ليلاً بسد المعابر والطرق المؤدية إلى قصر الإمارة، وحاصروا المختار عن بُعد ومنعوا عنه حتى الماء فلما علم المختار بذلك أرسل إلى إبراهيم أنْ عُد إلى الطوفة بأسرع وقت، فلما وصلت الرسالة إلى إبراهيم وعرف بأمر القوم عاد مسرعاً ووصل في اليوم الثاني وصلّى مع جيشه عند باب الجسر في الكوفة صلاة

العصر، ثمّ التقى بالمختار الذي حوصر من جبهتين:

■ الأولى: - بقيادة أهل اليمن بجبانة السبيع

■ الثانية: - بقيادة أهل مضر ويرأسهم محمد بن عمير وشبت بن ربعي (لعنه الله).

فسار إبراهيم إلى مضر مع أصحابه، بينما إتجه المختار مع رجاله وفرسانه إلى أهل اليمن، فلم يزل المختار يُعرف بشدة النفس وقلّة البقية على أهل اليمن وغيرهم إذ ضفر فسار إبن الأشتر إلى كناسة الكوفة، وهكذا إتجه المختار إلى جبانة السبيع فكانت وقعة جبانة السبيع في يوم الأربعاء ٢٤ ذي الحجة من عام ٦٦هـ[١].

وقد ذكر صاحب روضة الصفا أن إبراهيم الأشتر، قتل في حملته الأولى علي قبيلة مضر خمسين شخصاً ولما وصل جيش المختار إلى الجبانة نادوا: يا لثارات الحسين، فسمعها يزبد بن عمير بن ذي مران فقال: يا لثارات عثمان. فقال لهم رفاعة بن شداد: ما لنا وعثمان لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان ولمّا عاتبه قومه أنشد:

أنـــا إبن شداد على دين علي

لــــستُ لعثمان بن أروى بولي

---

(١) البحار جزء ٤٥، صفحة ٣٨٦

لأصـــلين اليوم فيمن يصطلي

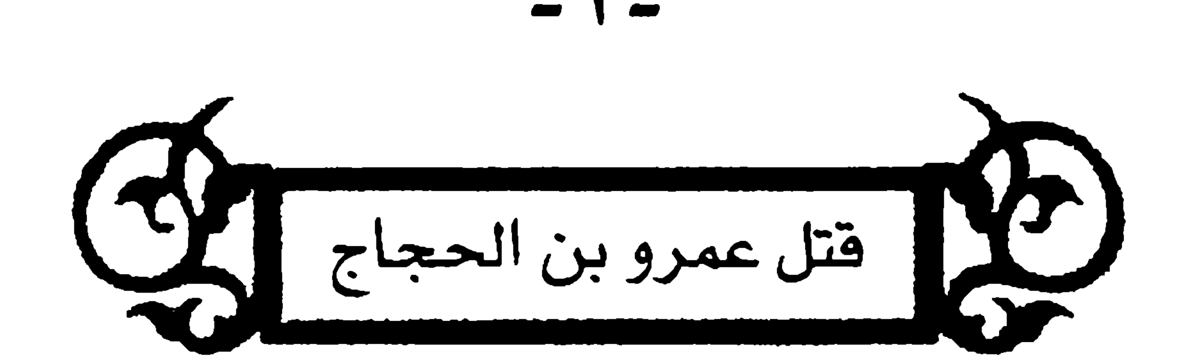
بـحرِنا والحـــــرب غير مؤتلِ

فقاتل حتى قُتل، وقُتل يزيد بن عمير ثم قُتل جميع رؤسائهم وانهزموا جميعهم وتشتت جمعهم فهرب بعضهم إلى البصرة وإختفى الآخرون في البيوت، واستخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير، فأتى بهم إلى المختار مكتفين فقال إنتظروا كل من شهد منهم قتل الحسين(ع) فأعلموني. فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً -على رواية الكامل والبحار والطبري- ثم دعا المختار بمن بقى من الأسارى فأعتقهم وأخذ عليهم المواثيق، ألا يجامعوا عليه عدواً ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة ونادى منادي المختار:

«مَن أغلق بابه فهو آمن إلاّ رجلاً شرك في دم آل محمد(ص)». وقد ذكرنا ذلك سابقاً.

مقاتل قتلة الحسين (عليه السلام) بالتفصيل

- ١ -



قتل عمرو بن الحجاج

فلما سمع قتلة الإمام الحسين(ع) نداء المختار، فرّ بعضهم من الكوفة في الليل وكان من جملة هؤلاء الفارين عمرو بن الحجاج. وهو الذي منع الماء عن الحسين(ع) وعياله وأصحابه وهو أول مَن جرح الإمام الحسين(ع) في بدنه. فركب راحلته ليلاً وذهب عليها فاراً من سطوة المختار، حتى وصل إلى الصحراء ونفد مائه بعدما ضل طريقه وتاه في وسط الصحراء وملؤه الخوف فسقط عن راحلته وعجز عن الحركة وأوشك على الهلاك فأدركه رجال المختار وجاءوا به إلى الكوفة، فلما شاهده الناس أخذوا برش الماء عليه حتى أفاق ثمّ بدأوا بضربه وإهانته وزجره وإذلاله والجميع يتوعده وأحاطوا به من كل جانب ومكان وهو مطأطأ الرأس. فلما علم المختار، جيء به إليه فأمر بضرب عنقه بكل إذلال وإحتقار جزاءاً له على ما أرتكبه من جريمة شنعاء بحق سبط رسول الله صلى الله عليه وآله(ع).

-٢-

قتل قاتل العباس (ع)

وكان من جملة المجرمين حكيم بن الطفيل الذي ضرب العباس بن علي(ع) غيلةً وأيضاً رمى الإمام الحسين (ع) بسهم. وكان قد إستتر في داره، فأرسل إليه المختار عبدالله بن كامل فذهب إليه مع جماعة فأخذه ثمّ أقبل به فجاءت أُخت حكيم وهي زوجة عدي بن حاتم الطائي تستغيث بعبد الله بن كامل وطلبت من عدي أنْ يشفع عند المختار في حكيم فلحقهم -عدي- في الطريق وعلم عبد الله بن كامل فيه، فقال ما إليّ من أمره شيء إنما ذلك إلى الأمير المختار.

فقالت الشيعة لإبن كامل: إنا نخاف أنْ يشفع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث فدعنا نقتله، قال: شأنكم به. فأخذوا حكيم بن الطفيل ونصبوه غرضاً ثم قالوا له: سلبت إبن علي المرتضى ثيابه -أي أنهً سلب العباس بن علي ثيابه- ورميت الإمام الحسين وإتخذته غرضاً ذلك وقُلت تعلق سهمي بسرباله ولم يضره. وأيم الله لنرمينك كما رميته بنبال، فرموه رشقاً واحداً فوقعت به نبال كثيرة حتى صار كالقنفذ،

فخر ميتاً وإلى جهنم وبئس المصير[١].

-٣-

قتل شمر بن ذي الجوشن

وأخذ المختار يتتبع قتله الإمام الحسين(ع) فإجتمع شمر بن ذي الجوشن الضبابي وإسحاق إبن الأشعث وسنان بن أنس ويزيد بن حارث ومرة بن عبد الصمد ومجموعة آخرين من القادة العسكريين الذين قاتلوا الإمام الحسين(ع) بكربلاء. إجتمعوا وقالوا: إنْ لم يشفع لنا عدي بن حاتم لدى المختار فإنّ القتل سبيلنا ولا حيلة لنا إلا الفرار من الكوفة والإلتحاق بالبصرة حيث إبن الزبير المخالف للمختار. فرفض بعضهم هذا الإقتراح بينما تقبله جماعة منهم، فخرج شمر بن ذي الجوشن الضبابي مع خمسة عشر رجلاً ليلاً من الكوفة يريدون البصرة فبعث المختار غلاماً له يدعى (خيّر) في طلب شمر، حتى إذا إنقطع إليه حمل عليه شمر فدق ظهره ومات في حينه.

---

(١) البحار جزء ٤٥، صفحة ٣٨٦

ثمّ إنطلق شمر مع أصحابه إلى قرية بين البصرة والكوفة تدعى (الكلتانية) فإستقر فيها. وبعث برسالة إلى مصعب بن الزبير في البصرة ودفعها إلى أحد دهاقين البصرة. فإنطلق الأخير حتى لقى رجلاً في طريقه، من أصحاب أبي عمرة الذي أرسله المختار لقتل شمر. فرآى الكتاب وعنوانه لمصعب من شمر فسأله عن مكان شمر الذي هو به فأخبره، فذهب إلى أبي عمرة فأخبره فإذا ليس بينهم وبين شمر إلاّ ثلاثة فراسخ، فأقبلوا يسيرون إليه.

ومن جهة ثانية، فإنّ المختار كان قد بعث عبد الله بن كامل مع مجموعة من الفرسان للإلتحاق بأبي عمرة، فإجتمع أبو عمرة وأصحابه مع عبد الله بن كامل وأصحابه عند قرية (كلتانية) وحاصروا شمراً وأصحابه وهم نائمون. فلما سمعوا الأصوات قاموا مسرعين ولكن شاهدوا أنفسهم في حصار تام، وكان شمر متئزراً ببرد وكان أبرصاً والبرص على سائر جسده، ولسرعة المفاجئة والمباغتة، لم يستطع شمر أنْ يحمل سيفه فأخذ يطاعنهم بالرمح ثم حمل سيفه وأخذ يحاربهم فتقدّم إليه عبد الرحمن بن عبد وأنشد:

يـــا أيها الغادر وابن الغادر

وقـــاتل الحـسين ذي المـفاخر

ابـن النبي الـــطيب العناصر

وابن الوصي الطاهرين الطاهر

منيت مــــن شعيته بثـائر

يطعن في الضـــلوع والخناجر

أشجع مـــن ليث عرين خادر

فأبشر بخزي وبمــوت حـاضر

فطعن شمر في نحره وسقط قتيلاً -لعنه الله- بعدما قُتل جميع مَن كان معه[١] وحُملت رؤوسهم إلى المختار في الكوفة. ثم عاد رجال المختار وأسروا سنان بن أنس وحارث بن قرين. وأخذوهما معهما إلى الكوفة، فلما نظر المختار إلى رأس الشمر ورؤوس أصحابه خرّ ساجداً لله وقال: يا عبد الرحمن أقرَّ الله عينك بلقاء رسول الله(ص) في الجنة ثم أمر برأس الشمر، فنصب في رحبة الحذائين إزاء المسجد الجامع وأمر بعشرة آلاف لعبد الرحمن وولاه حلوان.

---

(١) مقتل الحسين للخوازمي

- ٤ -

قتل حامل رأس الحسين(ع)

بعث المختار أبا عمرة فأحاط بدار خولي بن يزيد الأصبحي حامل رأس الحسين(ع) إلى عبيد الله وهو أيضاً حامل الرأس الشريف إلى الكوفة، قبل أنْ يصل إلى الشام، فلما بات في داره وضع الرأس الطاهر في التنور، فلمّا أحاطوا ببيته خرجت إمرأة خولي إليهم وهي «النوار» ابنة مالك الحضرمي. وكانت محبة لأهل البيت-عليهم السلام-وكان في البيت امرأة اخرى لخولي محبّة لبني أمية، فدخلوا البيت وسألوا مَن التي تُشايع بني أمية، فقالوا لها أين خولي؟

فقالت: لم يدخل البيت منذ شهر، ثمّ سألوا النوار فقالت: لا أدري وهي تشير بيدها إلى بيت الخلاء فوجدوه وعلى رأسه قوصرة - للتمر- فأخذوه ثم قالت زوجته النوار إذا أردتم أخذه للمختار فخذوا زوجته الأولى معه فإنها شريكة معه بالجرم وسأحضر بنفسي لأذكر قصتها للمختار. فلما أخذ خولي للمختار أخذوا معه زوجته. وكان خولي يغري عامل المختار أثناء الطريق بأنْ يعطيه خمسين ديناراً إذا هو تركه فكان

عامل المختار يجيبه: أقتلك أحب إلي من الدنيا كلها. وعندما وصلوا إلى المختار أمر المختار بحبس خولي حبساً مؤقتاً حتى يسمع قصة النوار.

قصة النوار

لمّا حضرت النوار عند المختار قالت: لما جاء خولي برأس الإمام الحسين(ع) إلى منزله، كنت خارج البيت. فلمّا حضرت في الدار قالت تلك الزوجة الملعونة لي: أبشرك بخبر هام. فقلت وما هو؟ فقالت وهي تُظهر الفرح والسرور: إنّ جيش يزيد قد قتلوا ابن أبي تراب وحزوا رأسه عن بدنه ورفعوه على الرماح. فتأسفت لما سمعت منها ذلك ثمّ جلست باكية فضحكت وسخرت مني وقالت ستبكين عليه كثيراً إذا رأيتيه تحت ذلك الطشت، فهرعت ورفعت الطشت فإذا رأس الحسين(ع). فلمّا رأيته صرخت عالياً وهي تضحك مني وتؤلمني أكثر بكلماتها التي كانت كالملح على الجروح.

فلما سمع المختار ذلك أمر بإحضار المرأة الملعونة، فلما حضرت سألها عن إعتقادها فقالت إن أمير المؤمنين هو يزيد بن معاوية وأنّ الحسين قد خرج عليه، فقتله لذلك. فقال المختار: لا حول ولا قوة إلاّ

بالله العلي العظيم ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾[١]، ثمّ أمر بقطع لسانها وأعضائها ثم أحرقها بالنار ووهب لهذه الإمرأة الصالحة خمسمائة دينار وأعطا عبد الله بن كامل خمسمائة درهم وأعطى كل مَن حضر المجلس وعادت المرأة إلى منزله فرحة متبشرة.

ما صنعت يوم كربلاء

وفي اليوم الثاني أرسل المختار على خولي، فلما حضر عنده قال له:
- أمسلم أم كافر انت-؟ قال بل مسلم.

فقال المختار: أيها الملعون أين تجد في الإسلام جواز قتل إبن رسول الله(ص) والطواف برأسه في البلدان وإيجاد هذه الفتنة وإثارة مثل هذه المصيبة التي ضجت الأرض والسماء لها؟ فقال خولي: - إنّ كثيراً مثلي مَن فعل ذلك. فقال المختار: كلكم لستم بمسلمين.

ثمّ أنّ المختار سأل خولي ما صنعت يوم كربلاء؟ فقال خولي: بعد قتل الحسين ذهبت إلى خيامه فرأيت علي بن الحسين مريضاً نائماً على فراشه فسرقت متاعه وفراشه من تحته، ثمّ أخذت مقنعه وأقراط بنت

(١) سورة آل عمران -٨.

الإمام الحسين.

فلما سمع المختار ذلك بكى ثم قال له: وما قالت لك؟ قال خولي: قالت لي وهي تصرخ قطع الله يديك ورجليك وأذاقك نار الدنيا قبل نار الآخرة. فقال المختار: لقد إستجاب الله دعاءها. فأمر بقطع يديه أولاً ثم رجليه ثم أمر بقطع رأسه وألقاه في النار.

- ٥ -

قتل محمد بن الأشعث

وأنفذ المختار إلى محمد بن الأشعث بن قيس وقد إنهزم إلى قصر له في قرية إلى جنب القادسية فقال لهم: إنطلقوا فإنكم تجدونه لاهياً متصدياً أو قائماً متلبداً أو خائفاً متلددا أو كافياً متعمداً. فلما أحاطوا بالقصر وكان له بابان خرج محمد بن الأشعث من الباب الثاني وإنطلق فاراً إلى مصعب بن الزبير في البصرة فهُدم داره وأُخذ ما كان فيها.

فجعل مصعب بن الزبير محمد بن الأشعث على مجموعة من أهل الكوفة عندما تقدّم مصعب لمحاربة المختار فدارت الحرب بين الفريقين بشدة كأنها أيام صفين حتى وثب خمسون رجلاً من رجال عبد الله بن كامل. وذلك عند المساء فكرّ على أصحاب محمد بن الأشعث فقُتل محمد بن الأشعث مع عامة أصحابه فذاق جزاءه أخيراً وهو مفاد قوله تعالى ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون﴾[١].

---

(١) سورة الشعراء -٢٢٧.

-٦-

قاتل عبد الله الرضيع

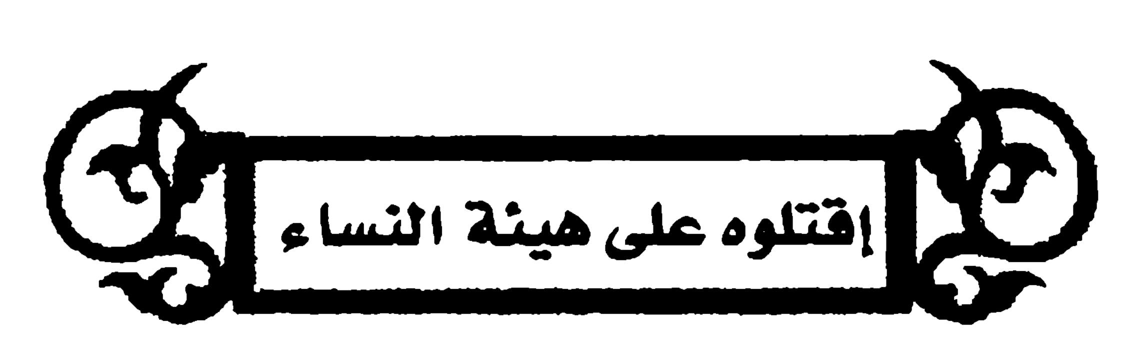
وأُخبر المختار أنّ حرملة بن كاهل قاتل عبد الله الرضيع بن الحسين(ع) مع جماعة من قتلة الحسين، يختبؤن في داره فأرسل إليهم جماعة من رجاله فألقوا القبض على حرملة بن كاهل فخرج المختار إليه، وفي الطريق إلتقى المختار مع المنهال بن عمر فقال المختار: يا منهال لم تشركنا في ولايتنا هذه. فقال المنهال: أني كنت بمكة فمشى المنهال حتى أتى الكناس ووقف كأنه ينتظر شيئاً فلم يلبث ومعه المختار حتى جاء قوم وقالوا للمختار: أبشر أيها الأمير فقد ألقي القبض على حرملة فقال المختار أحضروه فلما جيء ووقف أمام المختار سأله:

(السهم الثالث في قلب الحسين(ع))

ماذا صنعت يوم عاشوراء، قال: كانت لدي سبع سهام أخطأت في أربعة وأصبت بثلاث، أما التي أصبت بها منهم ذبحت به عبد الله بن

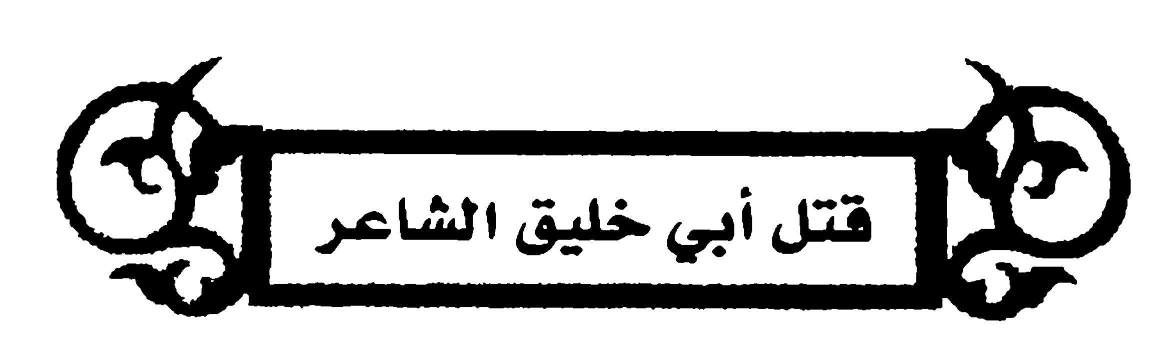
الحسين وهو بين يدي أبيه والسهم الثاني وقع على عين العباس بن علي. فقال المختار وهو يبكي ويلك والسهم الثالث، قال: السهم الثالث وقع على قلب الحسين. فقال المختار: لعنك الله، الحمد لله الذي أمكنني منك فنادى الجزار.. الجزار، فأوتي بجزار فأمره بقطع يديه ورجليه ثم قال النار .. النار، فأُتي بنار وقصب فأُحرق عليه لعنة الله. فقال المنهال: سبحان الله .. سبحان الله. فقال المختار: إنّ التسبيح لحسن لِم سبّحت؟ قال المنهال: إني دخلت على الإمام زين العابدين علي بن الحسين(ع) أودعه وأنا أريد الإنصراف من مكة فقال لي: يا منهال كيف تركت حرملة، فقلت: إنه حي بالكوفة. فرفع الإمام يديه وقال: اللهم أذقه حرّ النار، اللهم أذقه حرّ الحديد. فلما سمع المختار ذلك قال: أنت سمعت ذلك. قال المنهال: نعم، فنزل المختار عن دابته وصلى ركعتين وأطال السجود وركب وسار فحاذى دار المنهال بن عمر فقال المنهال له: عليك النزول والتحرم بطعامي، فقال المختار: إنّ علي بن الحسين دعا بدعوات فأجابه الله على يدي ثم تدعوني إلى الطعام؟ هذا يوم صوم شكراً لله تعالى. فقال المنهال: أحسن الله توفيقك.

-٧-



ووصلت الإخبار للمختار أنّ قيس بن حفض خرج على حمار له وهو يرتدي ملابس النساء ويريد البصرة. فأرسل المختار عبد الله بن كامل ورجاله إليه، فقبضوا عليه في الطريق وشدّوا يديه وأحضروه أمام الناس، وهو علي هيئة النساء فأمر المختار أنْ يُقتل على هذه الحالة فقتلوه وهو يرتدي ملابس النساء.

-٨-



قتل أبي خليق الشاعر

ومن جملة الذين أمر المختار بقتلهم أبو خليق الشاعر. وكان هذا الرجل حاضراً في كربلاء يُسجل ويدون وقائع الحرب. فكان كُلما قُتل أحد أصحاب الإمام الحسين(ع) أو أخوته وأولاده، يكتب إسم القاتل ويمدحه ويُضفي عليه الألقاب الرنانة فلما طلبه المختار قال له قص لنا ما حدث في كربلاء. فقال إيها الأمير لا أتكلم حتى تُعطيني الأمان فقال له المختار توريةً أنا لا أقتلك فقام أبو خليق وحدثهم بما جرى والمختار ومَن معه يبكون. فلما إنتهى قال له المختار: لقد أعطيتك الأمان ولا أقتلك بنفسي أبداً. ولكن آمل أنْ تنال جزاءك سريعاً. بعدها خرج أبو خليق من المجلس فأرسل عبد الله بن كامل غلامه وقال له: أقتله أينما سنحت لك الفرصة فتعقبه الغلام حتى إذا وصل أبو خليق إلى السوق شهر الغلام سيفه ونال منه وقطعه إرباً إرباً[١].

---

(١) البحار الجزء ٤٥ صفحة ٣٣٤

-٩-

صاحب البستان

دخل أبو عمرة الحاجب على المختار وأخبره أنّ رجلاً يُريد الخلوة به، فأمر المختار بدخوله وبعدما إختلى به قال الرجل للمختار: أنا رجل لدّي بستان خارج الكوفة في الطريق المؤدية إلى البصرة وهي تبعد عن الكوفة فرسخ واحد ويأتي في البستان كل يوم مجموعة كبيرة من قتلة الإمام الحسين(ع) فراراً من الكوفة وهم يعزمون على السفر إلى البصرة ليلاً وقد بلغوا أربعمائة وعشرين رجلاً. فلما سمع المختار ذلك أمر إبراهيم الأشتر وعبد الله بن كامل وأبو عمرة الحاجب بالتوجه إلى بستان الرجل وقتل هؤلاء معززين بألف فارس. فلما وصلوا إلى البستان حاصروه من جميع الجهات ثم دخلوا عليهم وهم ينادون يا لثارات الحسين ودارت الحرب بينهم إلاّ أنها إنتهت بسرعة بعدما قتل أصحاب المختار جميع أولئك القتلة وحزوا رؤوسهم عن أبدانهم وحملوها معهم إلى الكوفة وسُر المختار سروراً بالغاً وشكر صاحب البستان وأجزل له العطاء ودعا له.

-١٠-

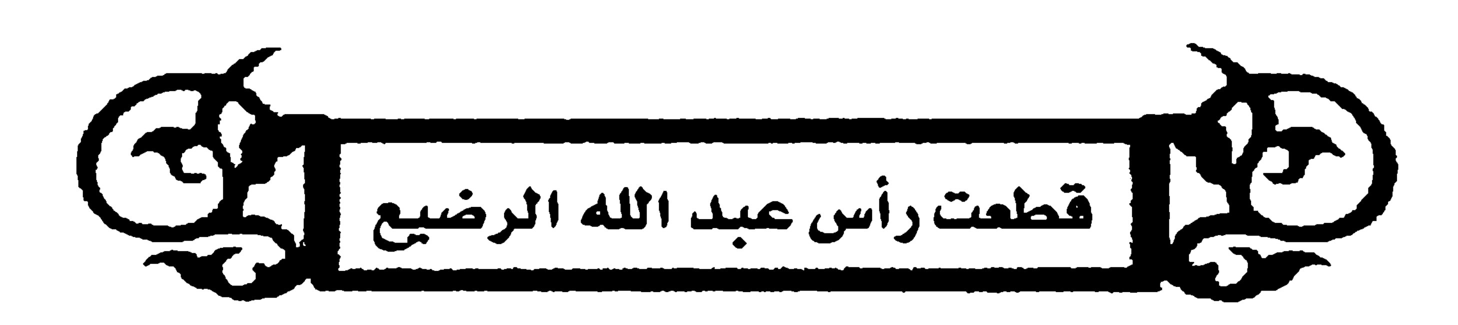
قاطع أصبع الحسين (١)

وجاء أصحاب المختار ببجدل بن سليم وقد شدوا وثاقه فلما وصلوا مجلس المختار أمر برفع الوثاق عنه ثم سأله المختار: ماذا صنعت؟ فقال عندما سقط الحسين بن علي على الأرض وأصبح لا يستطيع الحركة ولا النهوض قطعت أصبعه وسرقت خاتمه، فبكى المختار ومَن معه ثم قال المختار: إقطعوا يديه أولاً ثم رجليه، ففُعل به ذلك، فقال المختار: أتركوه على هذه الحالة فتركوه على هذه الحالة فلم يزل ينزف حتى مات والتحق بالجحيم.

---

(١) مدينة المعاجز صفحة ٢٦٠

-١١-



قطعت رأس عبد الله الرضيع

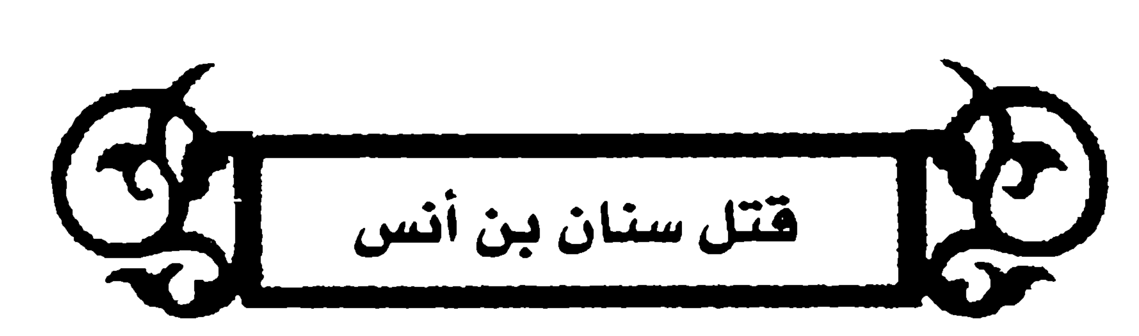
وإستأذن أحدهم أنْ يُكلم المختار فأذن له، فقال: يا أمير أنّ لي جاراً كان ممن من إشتركوا في قتل أبي عبد الله الحسين، ولا أحد يعلم بذلك غيري ولم إستطع أنْ أتكلم طوال هذه الفترة خوفاً على نفسي وأطفالي، حتى مكنك الله منهم. فأمر المختار أنْ يذهب معه ثلاثة من الرجال ليوصلهم إلى دار ذلك الرجل وعندما طرقوا الباب عليه وجدوه نائماً فكسروا الباب عليه وجعلوا الحبال بيديه وأخذوا يسحبونه إلى المختار. فسأله المختار: ماذا صنعت يوم عاشوراء. فقال: يا أمير لم أُقاتل الحسين بن علي ولكن عندما وضعت الحرب أوزارها أخذت كل قبيلة برأس من رؤوس القتلى للتقرّب إلى عبيد الله بن زياد بهذه الرؤوس إلاّ قبيلتي لم تجد ما تأخذه فنظرت إلى الرؤوس هي على الرماح فلم أجد بينها رأس طفل الحسين عبد الله الرضيع فبحثت عن جثته فوجدتها فقطعت رأسه ووضعته على سنان الرمح. فبكى المختار وقال: يا عدو الله ألم يرق قلبك لهذا الرضيع، فأمر بقطع يديه ورجليه وقطع رأسه ووضعه على سنان الرمح وألقى بجثته إلى النار.

-١٢-

سرّاق رحل الحسين

وجاء أصحاب المختار برقاء بن مالك وعمر بن خالد وعبد الرحمان البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني. فقال لهم المختار: ماذا صنعتم؟ قالوا قاتلنا مع قوم عمر بن سعد وقُمنا بنهب رحل الحسين وكان في الرحل «ورس» فاقتسمناه بيننا. فأمر المختار بإخراجهم إلى السوق وقتلهم وهو ينادي يا قتلة الحسين لقد أخذتم الورس في يوم نحس.

-١٣-



قتل سنان بن أنس

وعندما علم سنان بن أنس بما يفعل المختار هرب إلى البصرة للإلتحاق بمصعب بن الزبير فعلم المختار بفراره ليلاً فأمر بهدم داره ثم خرج سنان من البصرة نحو القادسية وكان عليه عيون فأخبروا المختار بذلك فأرسل إليه رجاله فأخذوه بين العُذيب والقادسية فلما أحضروه أمام المختار أمر بقطع أنامله ثم يديه ورجليه وأُغلى زيتاً في قدر ورماه فيه.

-١٤-

الخباز والجارية

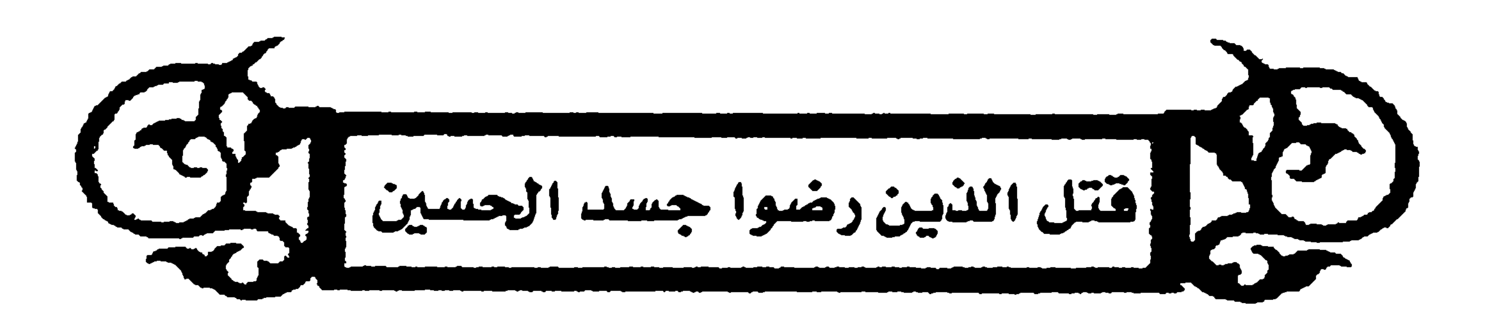
كان جهيم بن سليمان الخباز من الشيعة وجاء إلى عبد الله بن كامل وطلب منه الإذن في دخوله على المختار والخلوة به فأذن الأمير له. فلّما مُثل بين يديه قال: أنا أعمل خباز ولي جار عندهم جارية جميلة أحببتها وأحبتني ودعتني إلى نفسها مرراً إلاّ أني إلى اليوم لم أعصي الله تعالى في ذلك ولم أذهب معها. وكانت تجيئني كل يوم وتشتري مني خبزاً كثيراً فتعجبت من أمرها،. فسألتها ذات يوم وقلت لها: إذا أخبرتني لمن تأخذين كل هذا الخبز أشتريك من مولاك وأعتقك وتزوجتك فقالت لقد جاء إلى بيت مولاي (٤١) شخصاً ممن إشتركوا في قتل الحسين بن علي وإختبأوا عنده وهم عازمون على المسير إلى البصرة وهذا الخبز لهم. فلما سمع المختار ذلك أعطى للخباز ألف درهم ثم أرسل عبد الله بن كامل وأبا عمرة الحاجب وسعر بن أبي سعر مع مجموعة من الرجال إلى ذلك البيت، فأحاطوا به من كل جانب وشعر مَن في الدار بقدوم رجال المختار إليهم فقاموا وقتلوا صاحب

الدار ظناً منهم أنهُ هو مَن أخبر عنهم وقطعوه إرباً إرباً وبينما هم في ذلك إذ هجم عليهم رجال المختار وقتلوهم إلى آخرهم ورفعوا رؤوسهم على الرماح وجاؤا إلى المختار. ففرح كثيراً وقسّم ألف درهم على الفقراء تعبيراً لشكره لله. وكان من جملة هؤلاء القتلة عروة بن عبد الصمد وحباب بن عمر والحضرمي وعمر بن أصيل وعمر بن قرطة وسعر بن حنظلة وقد عُرف كل واحد من هؤلاء بقساوة القلب والغلظة في يوم كربلاء [1].

---

(١) مدينة المعاجز صفحة ٢٦٣

-١٥-



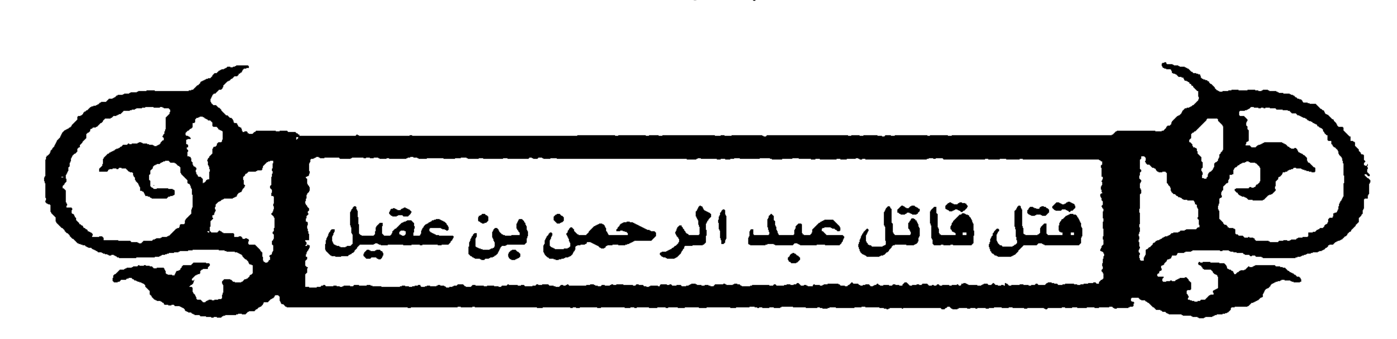
قتل الذين رضوا جسد الحسين

وعن الذين تجرد المختار لقتلهم والإقتصاص منهم هم الذين وطئوا الحسين(ع) بخيلهم وعندما ألقى القبض عليهم أنامهم على ظهورهم وضرب بسكك الحديد[١] في أيديهم وأرجلهم وأجرى الخيل عليهم حتى قطّعتهم ثم حُرقوا بالنار ونار الآخرة أعظم.

---

(١) البحار الجزء ٤٥ صفحة ٣٨٥

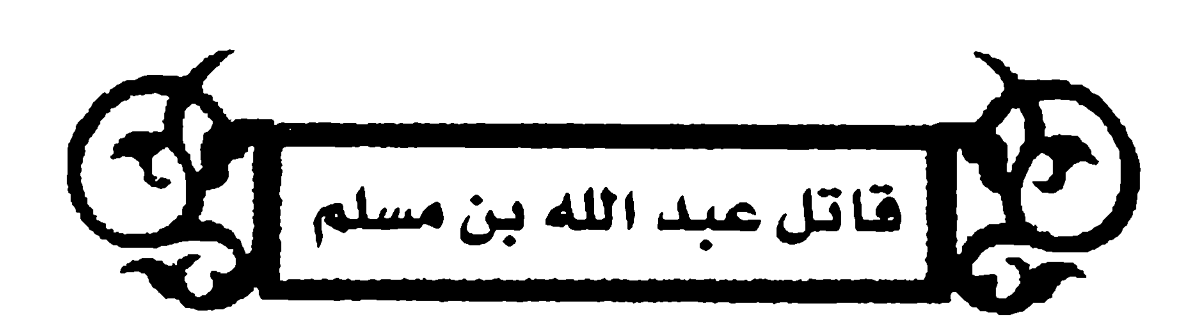
-١٦-



قتل قاتل عبد الرحمن بن عقيل

ثمّ أخذ المختار رجلين إشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب(ع) وفي سلبه. كانا في الجبانة فضرب أعناقهما ثم أحرقهما بالنار ثم أحضر مالك بن بشير وطلب غلام المختار منه -من المختار- أنْ يدعه له، فأخذه الغلام إلى السوق فقتله هناك.

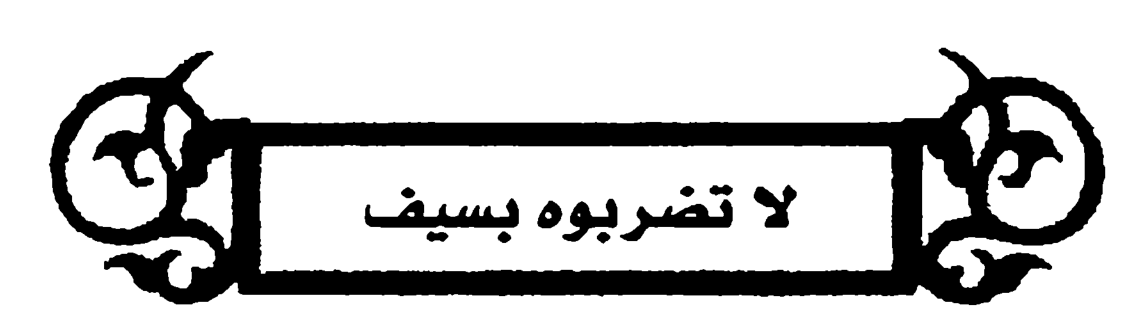
-١٧-



قاتل عبد الله بن مسلم

وبعث المختار عبد الله بن كامل إلى زيد بن رقاد، قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل يوم كربلاء، وكان زيد بن رقاد يتحدث كيف قتل عبد الله بن مسلم فيقول: رميت عبد الله بسهم فاتقاه بيده فشك يده إلى جبهته فأثبته بعدما مات فما قدرت والله أنْ أنزع سهمي من جبهته فتركته مثبتاً فيها وسمعته يقول عندما ضربته «اللهم إنهم استقلونا واستذلونا، اللهم فأقتلهم كما قتلونا» فحاول نزع السهم ولكن لم يستطع فرميته بسهم آخر في بطنه فمات.

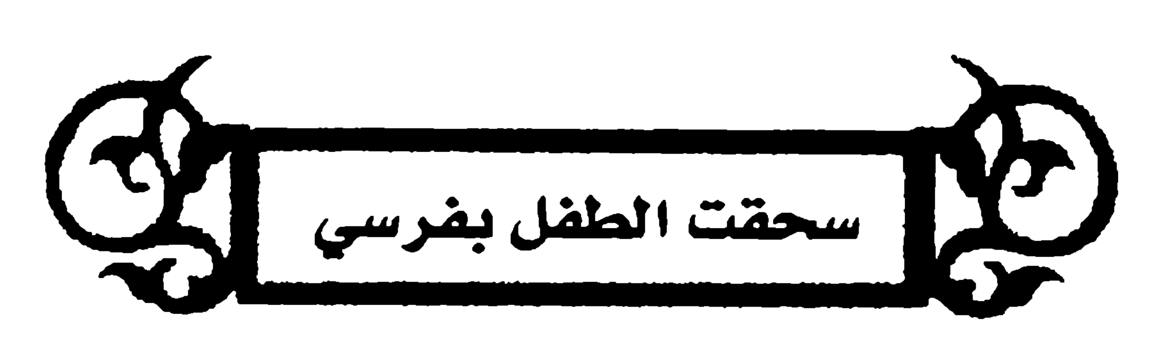
-١٨-



لا تضربوه بسيف

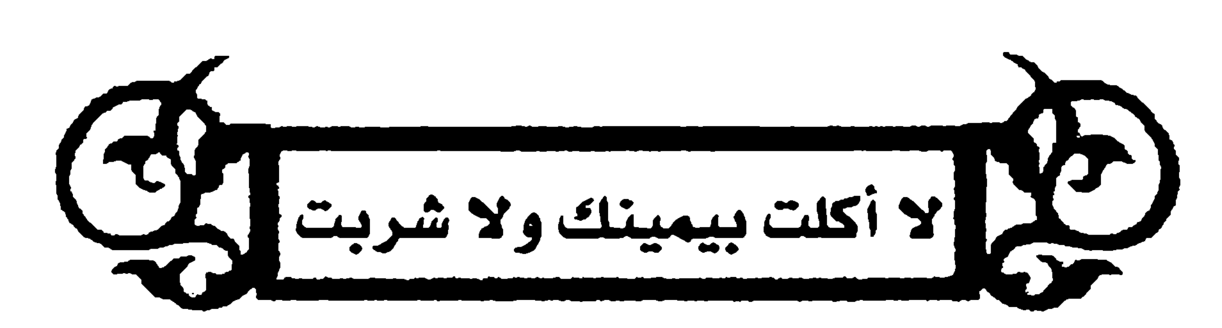
ولما أحاط عبد الله بن كامل بدار زيد بن الرقاد خرج شاهراً سيفه فقال عبد الله بن كامل لأصحابه لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن أرشقوه بالسهام كما رمي إبن عم الرسول(ص) فرشقوه بالسهام والحجارة حتى سقط إلى الأرض وأخذوه إلى المختار فسأله عن فعله يوم الطف وكيفية قتله لعبد الله بن مسلم؟ فقال: رميته بسهم فإتقاه بيده فشك يده إلى جبينه ورميته بسهم آخر في بطنه. فأمر المختار أنْ يُرمى بنفس الطريقة فرموه في عينه وخرج السهم من رأسه من القفا ورموه في بطنه وقال له الناس: ذق إيها الملعون فهذه مكافأتك ثم رشقوه بالسهام حتى سقط ومات.

-١٩-



ووصل إلى المختار أنّ مجموعة من الفرسان تجتمع في دار على أطراف الكوفة وهم من الذين إشتركوا في قتل الحسين بن علي(ع) فبعث إليه سعر بن أبي سعر مع مجموعة من الرجال فلما وصلوا إليهم دارت بينهم معركة ضارية وقُتل كل مَن كان في الدار وهرب أحدهم بعد أنْ تسلق جدار المنزل فأمسكوه وأخذوا به إلى مجلس المختار فسأله المختار ماذا صنعت فقال: لقد رأيت أطفال معسكر الحسين وهم يفرون يميناً وشمالاً فأسرعت بالفرس للحاق بهم فتعثر أحدهم وسقط على الأرض فسحقه الفرس ومات في الحال.

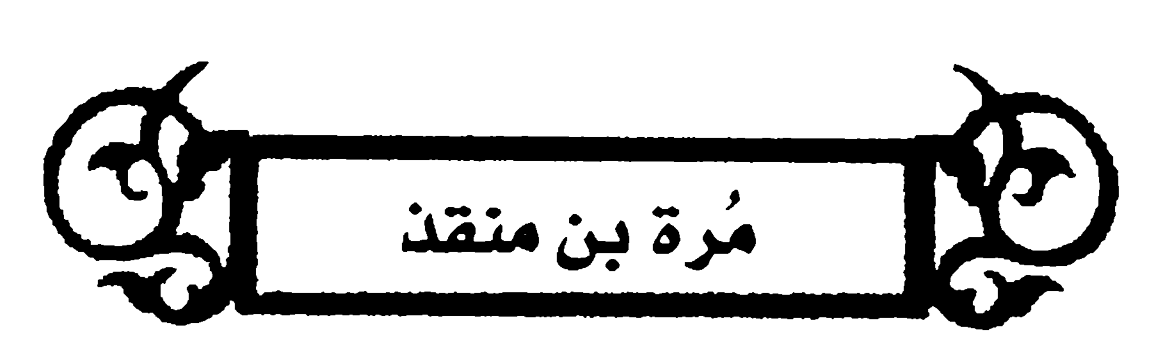
-٢٠-



لا أكلت بيمينك ولا شربت

وبعث المختار مجموعة من رجاله لإحضار مالك بن اليسر فوصلوا إلى داره ولم يجدوه فأخبرهم أحد الدهاقين بأنه لا يأتي إلى داره إلاّ في الليل خوفاً من الطلب فكمنوا له في الليل ودخلوا على داره وأمسكوه ولما أحضروه أمام المختار سأله المختار ماذا صنعت يوم عاشوراء قال: لمّا رأيت الحسين يجود بنفسه على الأرض وينظر إلى خيامه وهي تحترق ضربته بالسيف على وجهه. فبكي المختار ومَن معه فقال المختار: وماذا قال لك الحسين؟ قال مالك سمعت الحسين يقول: لا أكلت بيمينك ولا شربت. فقال المختار: لقد إستجاب الله دعائه فأمر بقطع يمينه وشماله ثم أمر بقطع رأسه وألقى جسده في النار.





مُرة بن منقذ

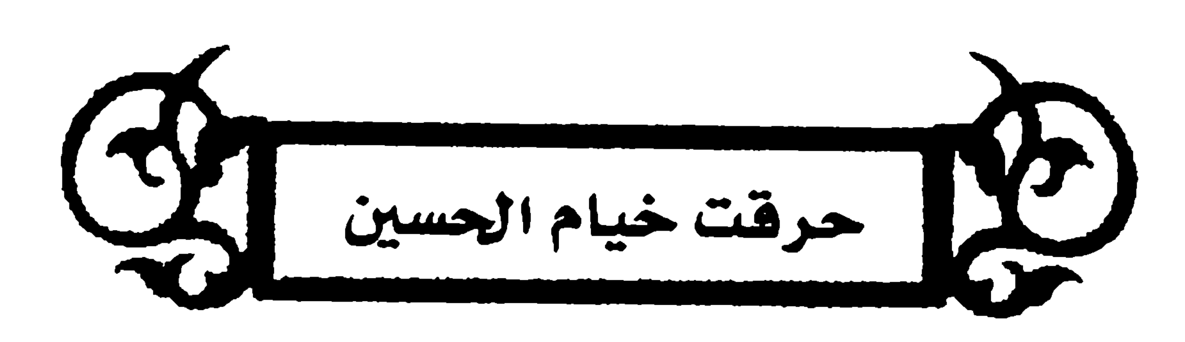
وجاءت الأخبار للمختار أنّ مُرة بن منقذ العبري من قبيلة عبد قيس وهو الذي قتل علي الأكبر بن الحسين(ع) مختبئ في داره فبعث المختار رجاله وكان مُرة رجلاً شجاعاً وشيخاً كبيراً فأحاطوا بداره فخرج وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجيه الشباملي مصرعه ولم تضره الطعنة وضربه عبد الله بن كامل بالسيف فإتقاها بيده اليسرى فأشرع فيها السيف وتمطرت به الفرس فأفلت ولحق بمصعب بن الزبير في البصرة بعدما شلت يده.

-٢٢-

قتلت علي الأكبر(ع)

وذهب سعر بن أبي سعر وألقى القبض على مرة بن منقذ وجاء به إلى المختار فقال له: أيها الملعون أنت الذي قتلت علي بن الحسين(ع) قال لم أكن لوحدي بل كان معي ألف رجل فقال المختار: إنْ لم يكن معك أولئك الألف ألست تستطيع قتله يا عدو الله؟ ثم أمر بقطع لسانه من آخره ثم سمل عينيه وقطع شفتيه ثم قطعوا رأسه عن بدنه وألقوه في النار.

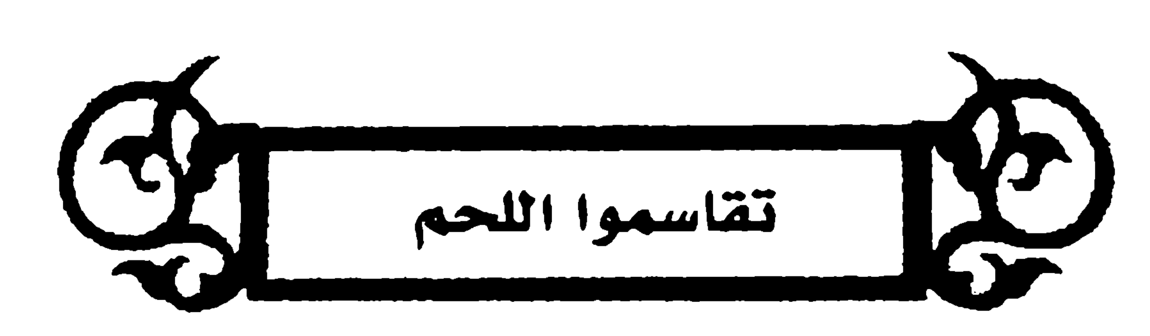
-٢٣-



حرقت خيام الحسين

وبينما المختار في مجلسه ومعه أصحابه وإذا بالأصوات علت أمام مجلس المختار فقال لغلامه: إذهب وأنظر ما الخبر، فذهب الغلام وما أسرع إن رجع فقال: يا أمير إنّ الناس يمسكون برجل وينادون يا لثارات الحسين. فقال المختار: عليّ به، فلما جيء به أمام المختار سأله المختار قائلاً: ماذا صنعت يوم الطف؟ فقال لما سقط الحسين على الأرض نادى عمر بن سعد عليّ بالنار لأحرق الخيام أخذت شعلة من النار ورميتها على خيمة الحسين وأخذت شعلة أخرى ورميتها على خيمة علي بن الحسين وكان مريضاً فرأيت أخت الحسين زينب وهي تريد الدخول إلى الخيمة فناديتها هي النار، فقالت: يا عدو الله أنا أرى النار ولكن لنا علياً في الخيمة فقال له المختار: فهل سمعت ما قالت؟ قال سمعتها تدعو علي وتقول حرقك الله بنار الدنيا قبل نار الآخرة، فقال المختار: لقد إستجاب الله دعوتها فأمر به فقطعوا يديه والقوه في النار.

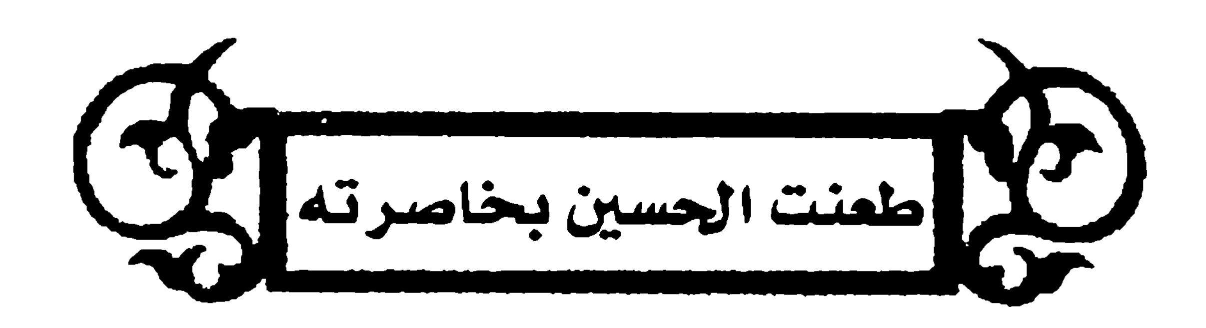
-٢٤-



تقاسموا اللحم

وأخبر أصحاب المختار أنّ بيوتاً أخذت إبل معسكر الحسين(ع) وقامت بذبحها وتقاسمت لحمها فأمر المختار بتهديم دورهم وعندما ذهب أصحاب المختار ليفعلوا ذلك خرج إليهم أصحاب هذه الدور شاهرين سيوفهم فوقعت معركة ما أسرع إن إنتهت وقد قُتل جميعهم فقام أصحاب المختار بهدم البيوت.

-٢٥-

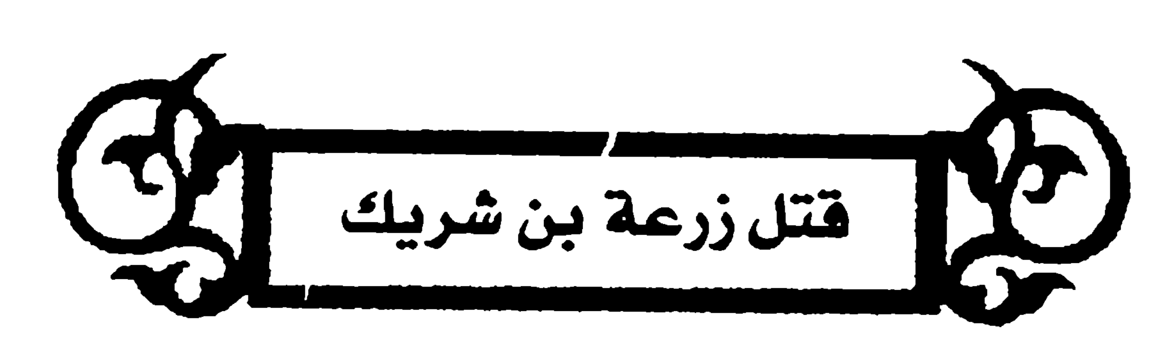


طعنت الحسين بخاصرته

وأرسل المختار مجموعة من أصحابه إلى دار صالح بن وهب فلم يجدوه في الدار فأمر المختار بوضع عيون على داره وبقي المختار أياماً ولم تصل إليه أخبار عن صالح فأمر أصحابه أنْ يذهبوا إلى دار أحد أصحابه ليسألوا عنه فذهبوا فسألوه فأخبرهم أنه ترك الكوفة عندما سمع أنّ المختار يتتبع قتلة الحسين وهو الآن في القادسية فأمر المختار أصحابه بانْ يتوجهوا نحو القادسية ومعهم الرجل فوصلوا إلى القادسية فدخلوا على دار رجل في أطراف القادسية وسألوه عن صالح بن وهب فأخبرهم أنه مختبئ في بستان قريب فذهبوا وأحاطوا بالبستان فلم يحس بوجودهم فدخل عليه بن أبي سعر فوجدوه يتناول غداءه فأخذه وجعل الحبال بيديه وتوجهوا نحو الكوفة ولما دخلوا على المختار سأله ماذا صنعت؟ فقال: لما رأيت الحسين بن علي على الأرض ولا يقوى على النهوض وصلت إليه

وطعنته بخاصرته فقال له المختار: وأين خنجرك الذي طعنت به الحسين، قال: في داري، فأمر المختار بإحضار خنجره فلما أحضروه أمر بطعنه إلى أنْ مات ثم أمر بقطع رأسه ونصبه في كناسة الكوفة.

-٢٦-

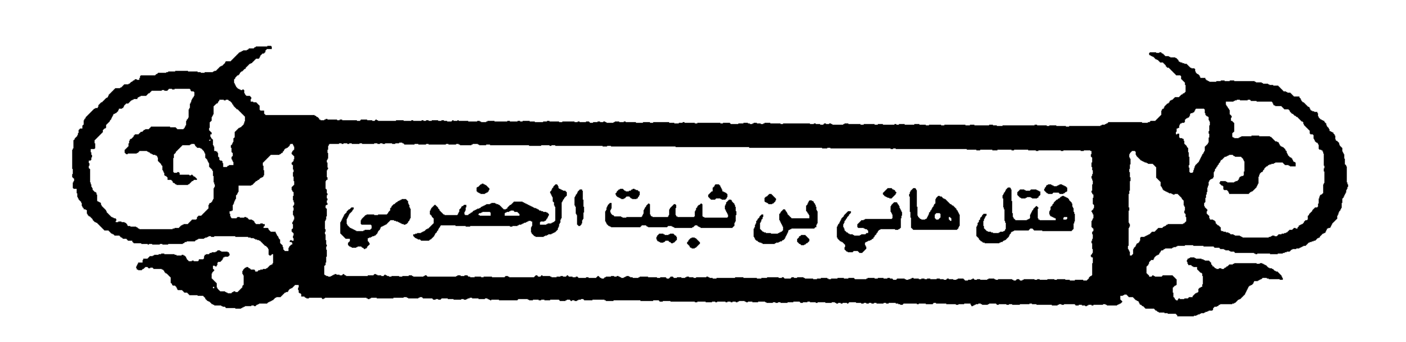


قتل زرعة بن شريك

وذكر أصحاب المختار زرعة بن شريك فسأل المختار عن مكان داره فأجابوه بأنه منذ أن سمع أنه مطلوب مع قتلة الحسين لم يُعرف له مكان وبعد يومين جاء إلى مجلس المختار رجل كبير السن فقال أوصلوني إلى المختار فأوصله أصحاب المختار فسأله المختار عن طلبه وكان يظن أنّ للرجل ظلامة على شخص فقال: يا أمير أنا أسكن في الصحراء ولدي ماشية وإبل وفي يوم من الأيام رأيت رجل قد إنقطع الطريق به وأخذه الجوع والعطش فأخذته إلى خيمتي وأسقيته ماءً ووضعت الطعام بين يديه فسألته عن سبب وجوده في هذه الصحراء القاحلة فقال أنّ المختار في الكوفة يريد قتلي فسألته عن السبب فلم يجيبني وأنا الآن أتيت إليك لأشفع به. فقال المختار: يا شيخ ما هو إسم ضيفك؟ فقال: زرعة بن شريك. فقال المختار: يا شيخ ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: هو وصي رسول الله. فقال: ما تقول بولده الحسين؟ فقال: هو ريحانه رسول الله وسيد شباب أهل الجنة. فقال: ما تقول بقاتليه؟ فقال: لهم عذاب

في الدنيا وفي الآخرة. فقال المختار: يا شيخ أما عذاب الآخرة فالله سبحانه تكفل به وأما عذاب الدنيا فإنّ الله يعذب به قاتلي الحسين بيد عباده المخلصين. فقال الشيخ: صدقت، فقال المختار: يا شيخ إنّ ضيفك زرعة بن شريك كان ممّن قاتلوا الحسين بن علي(ع) وضرب الحسين على كتفه الأيسر، فبكى الشيخ وقال: لقد سقيته ماءً وقدمت له طعاماً. فأخرج سيفه وقال والله لا أغمده حتى أقتل عدو الله، فأمر المختار أصحابه أنْ يذهبوا مع الشيخ وعندما وصلوا إلى الخيمة، دخل الشيخ وما خرج إلاّ وبيده رأس زرعة بن شريك.

-٢٧-

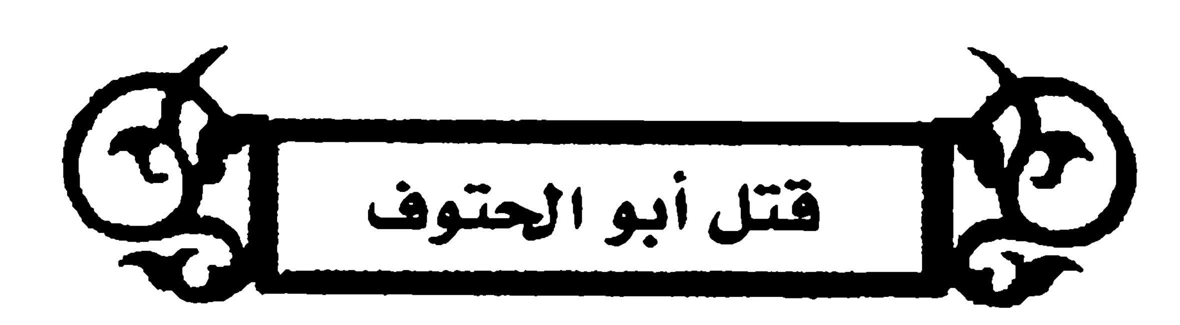


قتل هاني بن ثبيت الحضرمي

أراد هاني بن ثبيت الحضرمي الخروج من الكوفة ولكنه لم يستطع ذلك بسبب العيون المنتشرة للمختار في كل أرجاء الكوفة فإتفق مع مجموعة من الرجال على إخراجه من الكوفة على أنْ يجزل العطاء لهم، فأخرجوه من الكوفة تحت جنح الظلام وسار في طريقه يريد البصرة للإلتحاق بمصعب بن الزبير فصادق رجل يُقال له «حبيب» فعرفه وذهب إلى الكوفة وأخبر المختار بأنّ هاني بن ثبيت الحضرمي في طريقه إلى البصرة ولا زال في منتصف الطريق. فأمر المختار عبد الله بن كامل أنْ يأخذ معه ما يريد من الرجال ويُحضر هاني قبل أنْ يصل إلى البصرة فخرج عبد الله من ساعته وأخذ يسرع السير في الصحراء وهو ومَن معه حتى أدركوا هاني فألقوا القبض عليه وأحضروه إلى المختار فسأله المختار: ماذا صنعت؟ فقال: قتلت محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب.

فقال له المختار: كيف قتلته؟ فقال: كان محمد صغير السن وعليه إزار وقميص وفي أذنيه درتان وبيده عود من تلك الأبنيه وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً فدنوت منه فضربته بالسيف على رأسه فمات ورأيت أمه تنظر إليه وهي مدهوشة. فقال المختار: لعنك الله ما أقسى قلبك. فأمر بقطع يديه ورأسه وألقى بجثته في النار.

-٢٨-



قتل أبو الحتوف

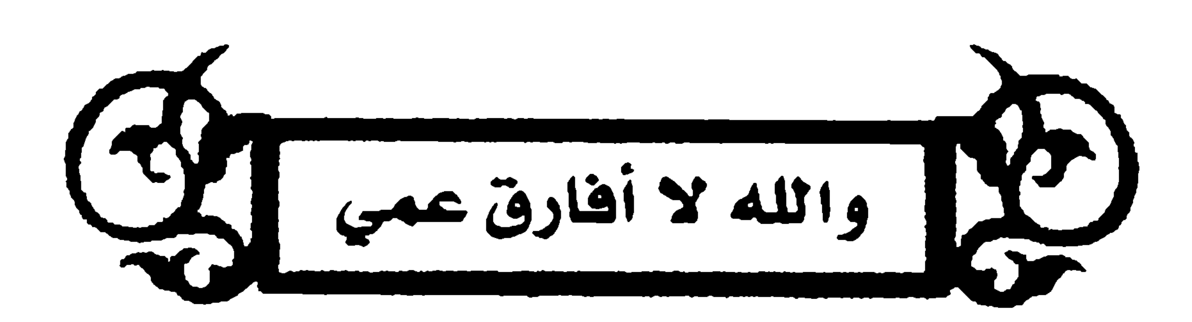
وكان من جملة الذين أمر بقتلهم المختار أبو الحتوف فألقي القبض عليه وهو في أطراف الكوفة قد عزم على المسير ولما إحضروه أمام المختار سأله المختار: ماذا صنعت؟ فقال: عندما وقف الحسين في مركز المعسكر، وقد ضعف عن القتال وكثر منه نزف الدم، فطلب في ذلك الحال شربة ماء فقال الشمر: لا تذوقه حتى ترد النار وناداه آخر: يا حسين ألا ترى الفرات كأنه بطون الحيات؟ فلا تشرب منه حتى تموت عطشاً. فوضعت السهم في كبد القوس ورميت الحسين في جبهته فرأيته وهو ينزع السهم عن جبهته والدماء تسيل على وجهه فقال المختار: عليك اللعنة فهل سمعت الحسين بعدها ماذا قال، قال أبو الحتوف: بلى سمعته يقول اللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، اللهم إحصهم عدداً وأقتلهم بدداً ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً. فقال المختار: أمين يا رب العالمين ثم أمر برمي أبو الحتوف بالسهام ثم أمر بقطع رأسه ويديه ثم ألقي في النار.

-٢٩-



ومن الذين قتلهم المختار عروة بن قيس الذي وجدوه مختبئاً في جبانة في الكوفة ولما حضر إلى مجلس المختار وهو مقيد سأله المختار عن دوره في قتال الحسين، فقال: لقد وضعني عمر بن سعد على الخيالة لقتال الحسين فهجمنا على معسكر الحسين وأضرمنا فيه النار وشاركت في قتل عدة من أصحاب الحسين، فأمر المختار أنْ يُحرق بالنار، ففُعل به ذلك.

-٣٠-



والله لا أفارق عمي

وألقي القبض على بحر بن كعب قاتل عبد الله بن الحسن بن أمير المؤمنين(ع) وجيئ به إلى المختار، فسأله المختار: ماذا صنعت؟ فقال: لما أحدق القوم بالحسين بن علي وهو على رمضاء كربلاء خرج من الخيم غلام يشتد نحو الحسين وكنت أريد ضرب الحسين فسمعت الغلام يقول: ويلك يا إبن الخبيثة أتقتل عمي؟ فقلت عليّ إثام العرب إن لم أُفجع أمه به فضربته بالسيف فإتقاها الغلام بيده فقطعت فنادى الغلام لعمه الحسين يا عماه قطعوا يميني، فقال له المختار: كيف لم تمنع النسوة الغلام من الخروج، يقول والله لا أفارق عمي، فقال المختار: فهل سمعت الحسين؟ فقال: نعم سمعته يقول للغلام بعد أنْ ضمه إليه: يا إبن أخي أصبر على ما نزل بك وإحتسب في ذلك الخير فإنّ الله يلحقك بأبائك الصالحين، فأمر المختاربه فقطعوا يمينه وشماله ثم قطعوا رأسه وألقوه في النار.

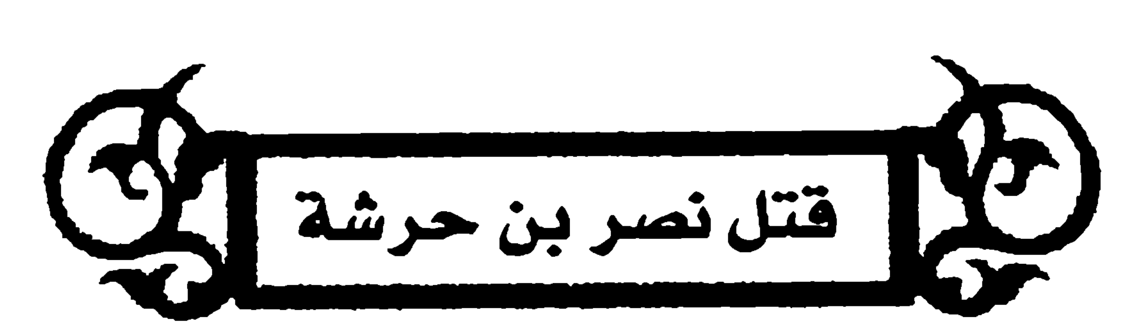
-٣١-

قتل مضاير بن رهينة المازني

وهرب مضاير بن رهينة من داره، ونزل عند رجل يبغض أهل البيت وتعهد الرجل بحمايته وعدم إفشاء سره وما أنْ أصبح الصباح حتى وجد مضاير نفسه في الدار لوحده وبقي ينتظر الرجل وعند غروب الشمس عاد الرجل فسأله مضاير أين كنت وإذا برجال المختار يدخلون الدار ويأخذونه فقال مضاير: ما الذي حملك على إخبار المختار بوجودي عندك، فقال: يا عدو الله عندما أتيت إلى داري لم أكن أريد أنْ أُخبر أحداً عنك وقلت في نفسي سوف أُدافع عنك أو أموت دونك ولكن عندما جنّ عليّ الليل وذهبت إلى فراشي أخذني نومٌ ثقيل فرأيت وكأنني في عرصات يوم القيامة ونادي المنادي بالويل والثبور لمبغض علي بن أبي طالب ومعه الحسن والحسين فأطرقت برأسي خجلاً منهم فقمت من فراشي خائفاً فرأيتك إلى جانبي فأقسمت إنْ أصبح الصباح لأُخبر المختار

بوجودك وأتوب إلى الله وأنا أشهد أنّ علي بن أبي طالب وصي رسول الله وأولاده أئمتي واللعنة عليك يا قاتل أبناء رسول الله فأخذوا مضاير بن رهينة إلى المختار فسأله ماذا صنعت فقال: رميت سهماً على العباس بن علي وشاركت في حرق خيام الحسين فأمر المختار بأنْ يربطوه على عامود ويجعلوه مرماً للسهام فأصبح كالقنفذ ثم أمر بقطع رأسه وألقى جثته في النار.

-٣٢-

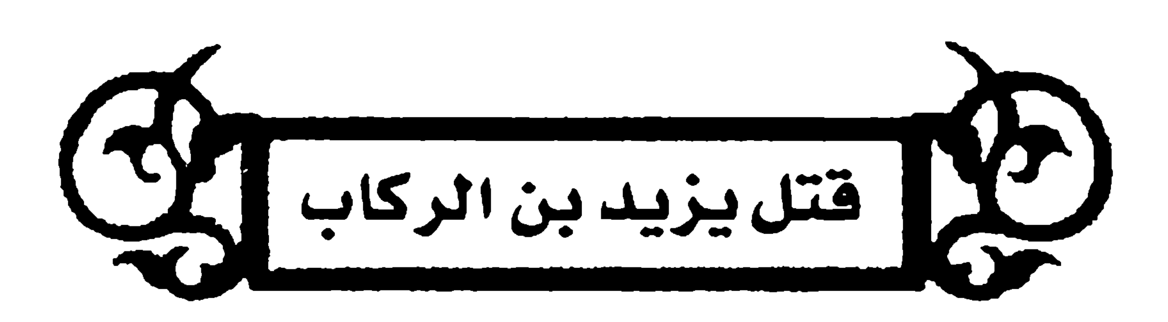


قتل نصر بن حرشة

وبعث المختار عبد الله بن كامل إلى دار نصر بن حشة، لإحضاره فذهب عبد الله ومعه رجاله فخرجت زوجة نصر وقالت إنّ نصر ترك الكوفة منذ ثلاثة أيام متجهاً إلى البصرة فرجع أصحاب المختار وأخبروه. وفي اليوم التالي، جاء غلام المختار وأخبره أنّ إمرأة تريد التحدث إليه فأذن لها بالدخول فقالت: يا أمير أنا زوجة نصر بن حرشة وقد جاءني بالأمس رجالك وقلت لهم أنّ نصر ذهب إلى البصرة ولكنني كذبت عليهم فهو موجود في الدار الآن فقال لها المختار ولماذا كذبت أول الأمر؟ فقالت: لقد فكرت في نفسي وعيالي، فقال لها المختار: والآن، فقالت: ومَن أنا وقد سبيت نساء الحسين ومن هم أطفالي وقد جعلوا أطفال الحسين ريحانة رسول الله يتامى فجزاها المختار خيراً وأجزل لها العطاء وأمر أصحابه بإحضار نصر بن حرشة فدخلوا عليه الدار وأحضروه إلى المجلس فسأله

المختار: ماذا صنعت؟ فقال: كنت مع الذين منعوا الماء عن الحسين عياله وأصحابه وكان سهمي ثالث سهم على خيام الحسين فقام أحد الجالسين في مجلس المختار وقال: يا أمير هب لي هذا اللعين فقال المختار: هو لك فأخذه وجعل الحبال بيديه وأخذ يسحبه إلى أنْ وصل إلى وسط الصحراء فأركبه على فرس وشده عليها فضرب الفرس فأخذت تركض بسرعة فسقط جانبه الأيمن عن الفرس فأخذت تضربه بكل حجر ومدر حتى مات.

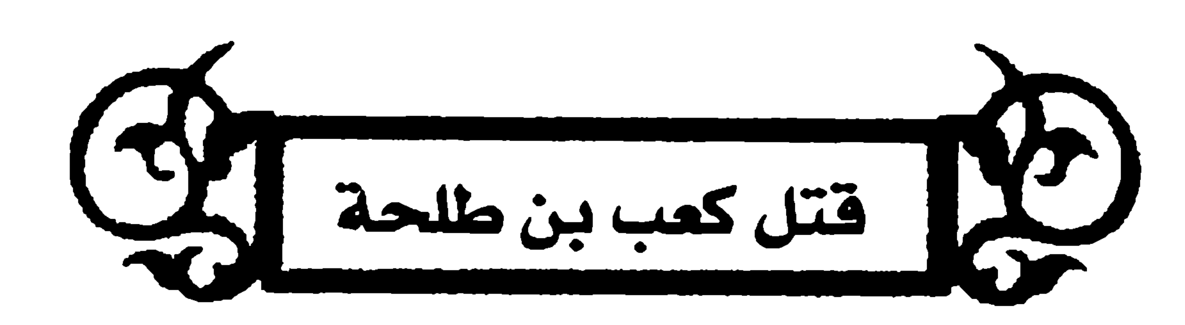
-٣٣-



قتل يزيد بن الركاب

وعلم المختار أنّ يزيد بن الركاب ومع مجموعة من قتلة الحسين مجتمعين في دار يزيد وقد يئسوا من الخروج إلى البصرة لكثرة العيون في الكوفة وقد إستقر رأيهم على مقاتلة أصحاب المختار إذا وصلوا إليهم. فأمر المختار عبد الله بن كامل وأبا عمرة ومعهم ما يريدون من الرجال لمقاتلة يزيد وأصحابه فلما أحس يزيد وأصحابه بأصحاب المختار خرجوا شاهرين سيوفهم فكانت معركة ضارية بين الطرفين قُتل فيها يزيد وأصحابه فقطع أصحاب المختار رؤوسهم ووضعوها على الرماح وجاءوا بها إلى المختار فلما نظر المختار إلى رؤوسهم خرّ ساجداً لله وأمر بالرؤوس فأُلقيت في النار.

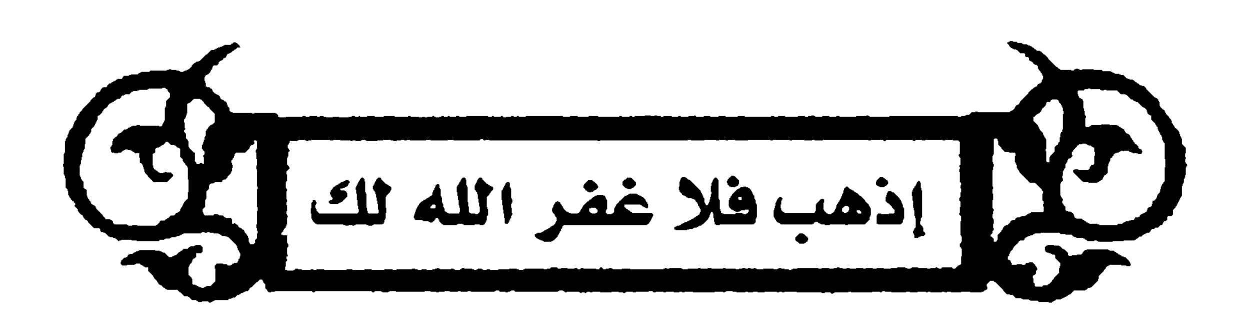
-٣٤-



قتل كعب بن طلحة

وأحضر مجموعة من الرجال كعب بن طلحة إلى المختار فقال لهم: كيف وجدتموه، فقالوا: أخبرنا رجل لديه ماشية يخرجها كل يوم للمرعى فرآى كعب بن طلحة في أحد البساتين مختبئا عن أعين الناس فذهبنا إلى البستان وأحضرناه، فأمر المختار برفع الوثاق عنه ثم سأله عن دوره يوم عاشوراء فقال: لقد أتيت إلى كربلاء على رأس ثلاثة آلاف رجل لقتال الحسين بن علي(ع) فلم يبقَ أي سهم من سهامي الأورقية على معسكر الحسين فأمر المختار أنْ يرمى بالسهام وقطع رأسه وألقى بجثته في النار.

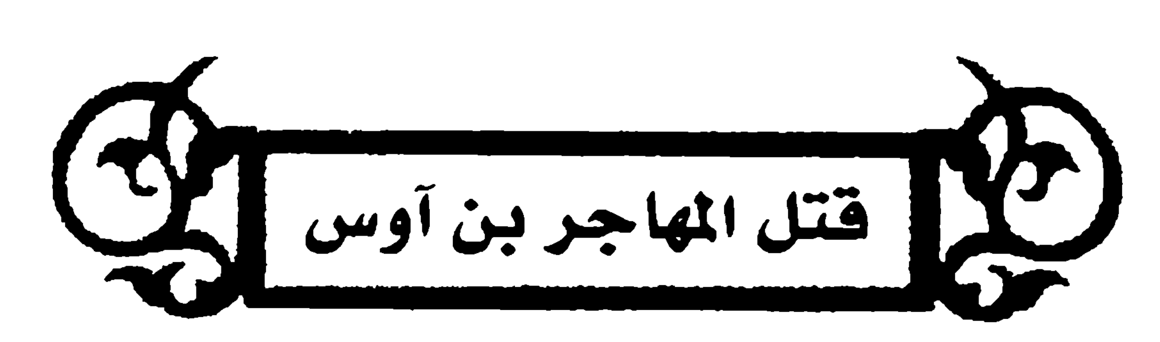
-٣٥-



إذهب فلا غفر الله لك

وأحضر أصحاب المختار رجلاً كان ممن سار برأس الحسين إلى الشام فلما وقف بين يدي المختار في مجلسه سأله المختار عن سيره برأس الحسين إلى الشام، قال: لمّا سرنا برأس الحسين إلى الشام، كنا إذا أمسينا وضعنا رأس الحسين وشربنا حوله. وفي ليلة كنت أحرسه وأصحابي رقود، فرأيت برقاً وخلقاً أحاطوا بالرأس ففزعت وأُدهشت ولزمت السكون فسمعت بكاءً وعويلاً وقائلاً يقول: يا محمد إنّ الله أمرني أنْ أطيعك، فلو أمرتني أن أُزلزل بهؤلاء الأرض كما فعلت بقوم لوط، فقال له: يا جبرائيل إنّ لي معهم موقفاً يوم القيامة بين يدي ربي سبحانه فصحت يا رسول الله الأمان، فقال لي: إذهب لا غفر الله لك. فقال المختار: لا غفر الله لك. فأمر المختار به فقطعت يديه وصبوا على رأسه الزيت المغلي وقطعوا له رأسه وأسرع بروحه إلى جهنم وبئس المصير.

-٣٦-



قتل المهاجر بن آوس

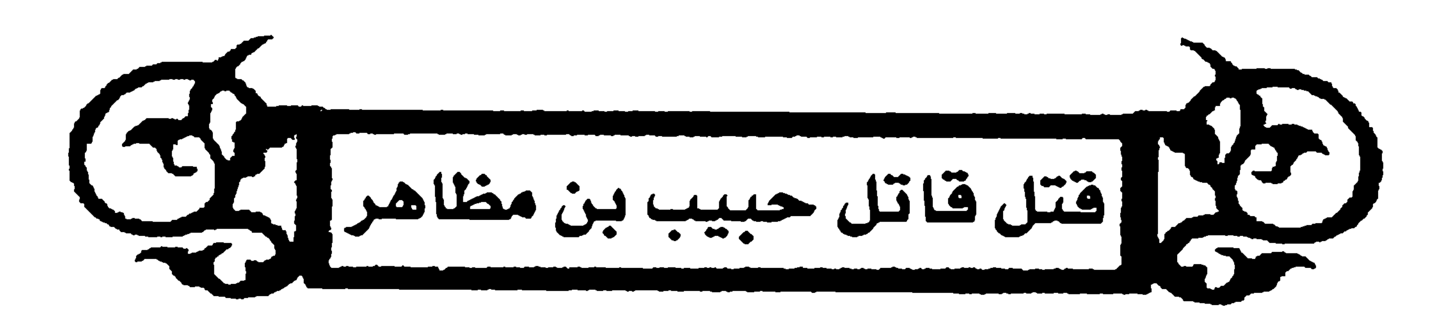
وبينما المختار يتتبع قتلة الحسين في كل مكان وإذا بأهل الكوفة يحضرون بين يديه المهاجر بن آوس قاتل زهير بن القين (رضوان الله عليه) فسأله المختار فقال خرج علينا زهير وكان فارساً مجرباً شريفاً في قومه وهو يقول:

أقــدم هــديت هــادياً مهدياً
فالــيوم ألقى جــهرك النبيا
وحسناً والمــرتضى عــليــاً
وذا الجــناحين الفتى الــكميا

فقال له الحسين وأنا ألقاها على إثرك، ثم قاتل حتى إجتمعنا عليه فضربته على رأسه ففلقت هامته، فسمعت الحسين يقول له

بعدما وصل إليه لا يبعدنك الله يا زهير ولعن قاتلك لعن الذين مُسخوا قردة وخنازير. فقال المختار: أقول لك كما قال الحسين لعنكم الله فأمر المختار فقتل وقطع رأسه وألقى بجثته في النار.

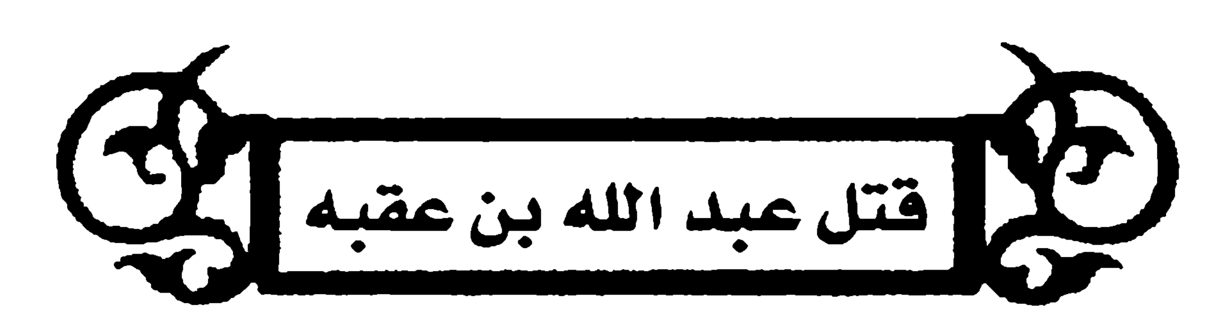
-٣٧-



قتل قاتل حبيب بن مظاهر

وبينما بديل بن صديم جالس في داره هجم عليه الناس وبينهم قوم من عشيرة بني أسد فألقوا القبض عليه وأراد أحدهم قتله بالسيف فأشاروا عليه بأخذه إلى المختار فقبل ذلك وأوصلوه إلى مجلس المختار فقال أحدهم: يا أمير هذا قاتل حبيب بن مظاهر الذي أبكى الحسين مقتله، فقال له المختار عن صنعه، فقال: لما رأيت حبيب يُكثر القتل فينا ذهبت إليه معي خمسة عشرة من الفرسان فثارت بيننا غبرة القتال وبينما حبيب منشغل بأحد الرجال ضربته على رأسه وطعنه آخر في بطنه فخرّ إلى الأرض صريعاً. فأمر المختار فضربوه بالسيف على رأسه وطعنه آخر في بطنه ثم قطعوا رأسه وأخذوا جثته ورموها في النار عليه اللعنة.

-٣٨-



قتل عبد الله بن عقبه

ولما علم عبد الله بن عقبة الغنويُّ فعل المختار في قتلة الحسين وكل مَن شارك في قتله خرج من داره وهرب إلى الجزيرة فأرسل المختار في أثره عبد الله بن كامل مع أصحابه فلحقوا به وهو في الطريق فأحضروه إلى المختار فسأله المختار: ماذا صنعت، فقال: قتلت أحد أصحاب الحسين عندما قام إصحابه بالحملة الأولى -وقد ذكره الشاعر بقول:

وعـــند غنيّ قطرة مـــن دمائنا
وفي أسد أخـــرى تُـــعد وتُذكرُ

فأمر المختار بهدم داره ثم أمر بقطع رأسه وألقى جثته في النار.

-٣٩-

قتل مسلم بن عبد الله الضبابي

وبعث المختار أصحابه إلى مسلم بن عبد الله الضبابي قاتل مسلم بن عوسجه (رضوان الله عليه) فلم يجدوه في داره فدمروه وعادوا إلى المختار وأخبروه فأعلن المختار بعطاء لمن يجد أو يُحضر مسلم بن عبد الله، فمضت أيام ولم يأتِ خبر عن مسلم وبينما هم على هذا الحال دخل على المختار رجل من بني أسد يُقال له «زارع» فأذن أنْ يختلي بالمختار فإختلى به، فقال: يا أمير منذ أنْ قُتل الحسين بن علي(ع)وقد جفاني النوم ولا طاب لي طعام ولا شراب فقال له المختار: ولِم ذاك؟ فقال لأنني لم أُشارك في الخروج للدفاع عن الحسين إلى كربلاء. فندمت لعدم خروجي معهم والدفاع عن إبن بنت رسول الله(ص) وقد دعوت الله أنْ يرزقني الشهادة أو يرزقني بعمل يكفر لي عن سوء فعلي وجهالتي وقد إستجاب الله دعائي، فقال له: وكيف؟ فقال: لقد هرب أحد أصحاب عمر بن سعد من الكوفة وهو الآن في دار أعلم مكانه. فأريد منك يا أمير أنْ تدعه لي. فقال له المختار: لك ذلك، فبان السرور

على «زارع» فخرج من مجلس المختار وقصد الدار التي يختبئ فيها مسلم بن عبد الله فأخذ بتلابيبه وأخذ يسحبه إلى السوق فسأله: ماذا صنعت؟ فقال: لقد قتلت مسلم بن عوسجه ورأيت الحسين واقفاً عنده ويمسح الدم والتراب عن مسلم ويقول قتل الله قاتليك . فقال «زراع» لقد استجاب الله دعاء ابن بنت رسول الله (ص) فضربه على رأسه ففلق هامته ثم قطع رأسه وأخذه إلى المختار فلما رآه المختار قال له ماذا صنعت قال لقد شفى الله قلبي من هذا الطاغية واسأل إليه أن يتقبل عملي ويغفر لي وطلب من المختار أن يكون من أصحابه المطالبين بدم الحسين وأهل بيته وأصحابه فأجابه المختار لذلك.

لو سقيتموه من الماء !

قال الرزباني : جاء المختار بعبد الله بن اسيد الجهيني ومالك بن الهيثم البدائي وذهبوا إلىالقادسية وجاء بمالك الجاري فأدخلوهم على المختار فقال المختار يا أعداء الله أين الحسين بن علي ؟ قالوا : أكرهنا على الخروج لقتاله فقال: فألأمنتم عليه وسقيتموه من الماء فقال لأحدهم ألم يرق قلبك لأطفال الحسين ومن معه وأنتم تسمعهم ينادون العطش، العطش.. فقال اللعين إن قلبي كان أقسى من الحجر فأمر المختار بقطع يديه ورأسه. وقرأ قوله تعالى: ﴿كالحجارة بل هي أشد قسوة﴾ وقال للآخر لم خرجت لقتال الحسين؟ فقال خفت على أولادي ونفسي من عبيد الله بن زياد إذا لم اخرج فقال له المختار: فهل أولادك أفضل من أولاد رسول الله (ص) وهل نفسك أفضل من ريحانة رسول الله؟ فأمر بقطع رأسه وألقى جثته في النار. وقال للبدّائي أنت أخذت برأس الحسين؟ قال لا. قال له المختار بلى وأمر بقطع يديه ورجليه وضرب عنقه.

-٤١-

قتل زيد بن ورقاء

وخرج زيد بن ورقاء من الكوفة سراً متجهاً إلى البصرة خوفاً من طلب المختار فنزل في طريقه على قرية طالباً منهم الماء والطعام. فقدموه له وبقي عندهم حتى الصباح. وفي الليل جلسوا يتحدثون فذكر أحد الجالسين ما يدور في الكوفة. من تتبع المختار لقتلة الحسين. فبقي زيد ساكتاً لا يتكلّم وقد تملكه الخوف. وعند الصباح الباكر، ركب على ظهر جواده من غير أن يعلم به أحد واتجه إلى البصرة. وجاء صاحب الدار بالطعام والشراب فلم يجده فدخل الشك في قلبه. وأخبر زوجته بأنه ذاهب إلى الصيد فراح خلف زيد. فوجده في منتصف الطريق فقال له: ما أقدمك على ما علمت (وكان يقصد لماذا تركت الدار بهذه السرعة ولم تخبرنا برحيلك) فظن زيد أنه سأله عن سبب خروجه لقتال الحسين فقال خرجت لقتال الحسين بن علي مكرهاً. فشهَر الرجل سيفه بوجه زيد فأراد زيد أن يشهر سيفه فلم يمكنه الرجل من

ذلك فقيد وثاقه وأخذه إلى الكوفة ودخل على المختار وأخبره بما جرى فسأل المختار زيد ماذا صنعت في كربلاء فقال زيد: لقد كمنت أنا وحكيم بن الطفيل وراء نخلة للعباس بن علي فضربته على يده اليمنى فقطعتها. فقال المختار لأنكم لا تجرؤن على قتاله وجهاً لوجه فأمر المختار بقطع يده اليمنى ثم اليسرى ثم رأسه وألقى جثته في النار. ونار الآخرة أعظم.

-٤٢-

عمر بن سعد وحكاية الراهب

على الرغم من أن عمر بن سعد ينتسب إلى قريش القبيلة العريقة في العرب. وأن والده هو سعد بن أبي وقاص. إلا أن ذلك لم يمنع من انزلاقه وانحرافه ليصبح في النهاية من الأشقياء وعلى الرغم من أن أصحابه ورفاقه والمقربين منه نصحوه بعدم الإقدام على مقاتلة الحسين بن علي(ع) وأوضحوا له حرمة ذلك بالدلائل الساطعة. إلا أنه أقدم على محاربة الإمام الحسين (ع) بكل اختيار.

وكان من جملة الذين حذروا عمر بن سعد من ارتكاب هذه الجريمة. شخص يدعى «كامل» وكان صديقاً لعمر بن سعد فقال له: أحدثك بحديث لا شك فيه النجاة إن وفقت لقبوله. اعلم اني سافرت مع أبيك سعد بن أبي وقاص إلى الشام فانقطعت بي مطيتي عن أصحابي. ولحقت وعطشت فلاح لي دير راهب فملت إليه ونزلت عن فرسي. وأتيت إلى باب الدير لأشرب ماء. فأشرف عليَّ راهب من ذلك

الدير وقال: ما تريد؟ فقلت له: إني عطشان. فقال لي: أنت من أمة هذا النبي الذين يقتل بعضهم بعضاً على حب الدنيا مكالبة ويتنافسون فيها على حطامها وغررها وزخرفها؟ فقلت له من الأمة المرحومة أمة محمد (ص) فقال: إنكم شرّ أمة فالويل لكم يوم القيامة وقد سددتم إلى عترة نبيكم فقتلتموه وشرّدتموه. وإني أجد في كتبنا أنكم تقتلون ابن بنت نبيّكم وتسبون نسائه وتنهبون أمواله فقلت له يا راهب نحن نفعل ذلك؟ قال نعم. إنكم إذا فعلتم ذلك خلجت السماوات والأرضون والبحار والجبال والبراري والقفار والأطيار. فاللعنة على قاتله ثم لا يلبث قاتله في الدنيا إلا قليلاً ثم يظهر رجلاً يطلب بثأره لا يدع أحداً شرك في أمره بسوء إلاّ قتله وعجل الله بروحه إلى النار. وإني لأرى له قرابة من قاتل هذا الإبن الطيب. والله لو أني أدركت أيامه لوقيته بنفسي من حرّ السيوف: فقلت يا راهب إني أعيذ نفسي أن أكون ممن يقاتل ابن بنت رسول الله (ص): فقال إن لم تكن فرجل قريب منك بسبب أو نسب. وإن قاتله عليه نصف عذاب أهل النار. وإن عذابه أشدّ عذاباً من عذاب فرعون وهامان ثم ردم الباب في وجهي، ودخل يعبد الله تعالى وأبى أن يسقيني الماء، فركبت فرسي ولحقت أصحابي فقال لي سعد: ما أبطأك عنا يا كامل؟ فحدثته بما سمعت من الراهب فقال لي صدقت، ثم إن

سعداً أخبرني أنه نزل بدير هذا الراهب مرة من قبلي فأخبره أنه الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول الله (ص) فخاف أبوك سعد من ذلك. وخشي أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك. فأحذر يا عمر أن تخرج عليه. فإن خرجت عليه يكون عليك نصف عذاب أهل النار[١] وعندما سمع ابن زياد بمقالة كامل بعث عليه وقطع لسانه فعاش يوماً أو بعض يوم ومات رحمه الله.

---

(١)مدينة المعاجز ص٢٦١-٢٦٢

قاتل الحسين ولك ملك الري

عندما بدأ عبيد الله بن زياد يجهز العدد والعدة لقتال الحسين (ع) بحث على شخصيات مختلفة في سلوكها فبحث على سليمان بن صرد الخزاعي وحميد بن مسلم وعمر بن سعد فالتقى بكل واحد منهم على حده. فقال لسليمان بن صرد الخزاعي أريدك أن تأخذ ما أعددت من الجيش وتتجه إلى كربلاء وتخيّر الحسين بن علي بين النزول على حكم يزيد والقتل ولك ما تريد فقال له سليمان أتريد مني أن أقاتل ابن بنت رسول الله؟ قبح الله وجهك يا عبيد الله، فغضب عبيد الله فأمر حراسه وقيدوا سليمان ؤوضعوه في السجن.

ثم تكلم مع حميد بن مسلم وعرض عليه نفس العرض فقال حميد: يا أمير أنا سوف أذهب إلى كربلاء وأجمع السوار على الحسين وأنقل لك الأخبار من هناك ففكر عبيد الله بكلام حميد وقال له افعل ما تراه.

وعند الليل بعث عبيد الله غلامه إلى عمر بن سعد فطرق الباب عليه وأخبره أن الأمير يطلبك الساعة فجاء عمر بن سعد فأجلسه عبيد الله إلى جانبه وأخذ يحدثه فقال له: يا عمر ما قولك بملك الري

ومرجان فقال عمر ومن يكره ذلك. فقال عبيد الله هي لك بشرط فقال عمر وما ذاك الشرط فقال عبيد الله أن تذهب إلى كربلاء أمير على الجيش وتقاتل الحسين بن علي أو ينزل على حكم الأمير يزيد بن معاوية فأطرق عمر برأسه ثم قال أمهلني سواد هذه الليلة حتى أفكر في هذا الأمر فذهب إلى داره وهو يردد هذه الأبيات:

فوالله مـــا أدري وإنّي لحـائر

أفكّر في أمــري على خطرينِ

أأترك مـلك الري والري منيّتي

أم أرجـع مأثوماً بقتل حسينِ؟

وفي قتله النار التي لـيس دونها

حجاب وملك الـري قرّة عـيني

حسين ابن عمّي والحـوادث جمّة

لعمري ولي في الـري قرّة عيني

وإنّ إله الـعرش يـغفر زلتي

ولـو كنت فيها أضلم الثقلينِ

ألا إنـّما الدنيا لخير مـعجّل

ومـا عاقل بـاع الوجـود بدينِ

يقـــولون إنّ الله خـــــالق جنّة

ونــــارٍ وتعذيبٍ وغـــل يدينِ

فإن صـدقوا فيــما يقولون إنّني

أتـوب إلى الرحمن من سنتينِ

وإن كـذبوا فزنا بـــدنياً عظيمة

وملك عــقيم دائــم الحجلينِ

ولم يمض من الليل إلا أوله. حتى رجع عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد موافقاً على الخروج لقتال الحسين (ع).

أمير المؤمنين يخبر بشقاوة عمر بن سعد

لقد سبق أمير المؤمنين (ع) الجميع في إخباره بشقاوة عمر بن سعد فقد لقي أمير المؤمنين عمر بن سعد يوماً وهو شاب فقال: ويحك يا بن سعد كيف بك إذا أقمت يوماً مقاماً تخيّر فيه بين الجنة والنار[1]؟. وعن الأصبغ بن نباتة قال: بينما أمير المؤمنين (ع) يخطب الناس وهو يقول سلوني قبل أن تفقدوني. فوالله لا تسألوني عن شيء مضى، ولا عن شيء يكون إلاّ نبأتكم به. فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال أمير المؤمنين أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله (ص) إنك ستسألني عنها. وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه[2].

(١) سبط بن الجوزي في تذكرة الخوامى ص٢٢٣

(٢) مدينة المعاجز للبحراني ص١٢١

الإمام الحسين وعمر بن سعد

وفي كربلاء أرسل الإمام الحسين(ع) إلى عمر بن سعد: إني أريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك. فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارساً والحسين(ع) في مثل ذلك. ولما التقيا أمر الحسين(ع) أصحابه فتنحوا عنه. وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر. وأمر ابن سعد أصحابه فتنحوا عنه. وبقي معه ابنه «حفص» وغلامه. فقال الإمام الحسين(ع) له: ويحك أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ يا هذا ذر هؤلاء القوم وكن معي فإنه أقرب لك من الله! فقال عمر بن سعد: أخاف أن تؤخذ ضيعتي فقال: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز: فقال: لي عيال أخاف عليهم فقال(ع): أنا أضمن سلامتهم. فسكت ولم يجبه عن ذلك حتى انصرف عنه الحسين(ع) وهو يقول ما لك ذبحك الله على فراشك سريعاً عاجلاً. ولا غفر لك يوم حشرك

ونثرك فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلاّ يسيراً فقال عمر (لعنه الله) مستهزءاً يا أبا عبد الله في الشعير عوض عن البرّ[1].

فلما عاد عمر بن سعد من كربلاء وابتلي بمرض لم يقدر معه على تناول خبز الحنطة أبداً إلى أن قتل عليه اللعنة.

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٥

الإمام الحسين(ع) يدعو على عمر بن سعد

دعا الإمام الحسين(ع) يوم عاشوراء على عدد من الأشخاص وقد إستجاب الله دعاء الإمام الحسين(ع) مثل إبن حوزة الذي دعا علي الإمام الحسين(ع) قبل أنْ تبدأ الحرب عندما صاح إبن حوزة: أفيكم حسين، أفيكم حسين وأجابه أصحاب الحسين، هذا الحسين فما تريد منه؟ قال: يا حسين أبشر بالنار. فقال(ع): كذبت بل أقدم على رب غفور كريم مُطاع شفيع، فمّن أنت؟ قال: أنا إبن حوزة. فرفع الحسين(ع) يديه حتى بان بياض إبطيه وقال: اللهم خذه إلى النار. فغضب إبن حوزة وأقحم الفرس نحو الحسين وكان بينهما نهر فسقط عن الفرس فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس حتى إنقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقى جانبه الآخر معلقاً بالركاب يضرب به الفرس كل حجر وشجر حتى هلك.

ومن الذي دعا عليهم الإمام الحسين عمر بن سعد، وذلك عندما نزل ولده على الأكبر إلى ساحة القتال فنادي الحسين(ع) بعمر بن

سعد: ما لك - يا بن سعد - قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله(ص) ولا بارك الله لك في أمرك وسلط عليك من يذبحك بعدي في فراشك[1] ولقد تحقق هذا الدعاء كما سوف يأتي بعد قليل.

(١) المصدر السابق.

لا أهدأ حتى أقتله

ولما تجرّد المختار لقتل مَن أشترك في حرب وقتل الإمام الحسين(ع) كان عمر بن سعد يعلم علم اليقين أنه أول المقصودين وكثيراً ما كان يسمع المختار وهو يقول «لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أُطهر الأرض منه»[١] ولذلك عمد إلى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي-وهو صهر أمير المؤمنين علي(ع)- طالباً منه التوسط عند المختار وبالفعل قبل المختار وساطة إبن جعدة وكتب أماناً لعمر بن سعد، ولقد قبل المختار هذه الوساطة لسببين هما:

١- منزلة عبد الله بن جعدة بإعتباره صهر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) فلم يقدر على رده.

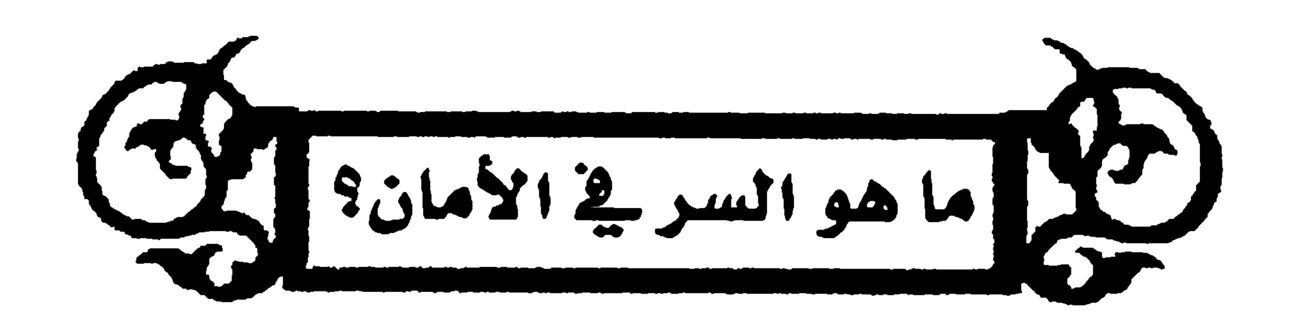
٢- إنّ طبيعة الأحداث السياسية يومئذٍ فرض عليه تأجيل قتل عمر بن سعد إلى الوقت المناسب.

---

(١) البحار/ الجزء ٤٥ صفحة ٣٧٤.

أما بالنسبة للأمان الذي كتبه المختار لعمر بن سعد، فهذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم: « هذا أمان المختار بن عبيد الثقفي لعمر بن سعد إبن أبي وقاص، إنك بآمان الله آمن على نفسك وأهلك ومالك وولدك. لا تؤاخذ حدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك. إلاّ أنْ تحدث حدثاً، فمَن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد (ص) فلا يعرض له إلا بسبيل وخير، والسلام »[١].

(١) تاريخ الطبري/ الجزء ٣ صفحة ٢٦٤



ما هو السر في الأمان؟

إن كتاب الأمان هذا الذي أعطاه المختار إلى عمر بن سعد يحمل شرطاً محدداً وهو أن لا يحدث عمر حدثاً. فإذا أحدث حل قتله ومن كلمة الحدث فهم عمر بن سعد أن المعنى أن لا يقوم بفتنة ضد المختار أو أي جهة أخرى. أما مقصود المختار الباطني فكان معنى الحدث هو أن لا يحدث أي حدث سواء كان أكبر يوجب الغسل أو أصغر يوجب الوضوء فإذا أحدث ابن سعد أي قسم من أقسام الحدث حلّ قتله من المختار. وهذا الشرط الموضوع في الأمان هو شرط صعب التحقق بل هو شرط تعجيزي باطناً. فلا أمان لقاتل ابن بنت رسول الله وريحانته.

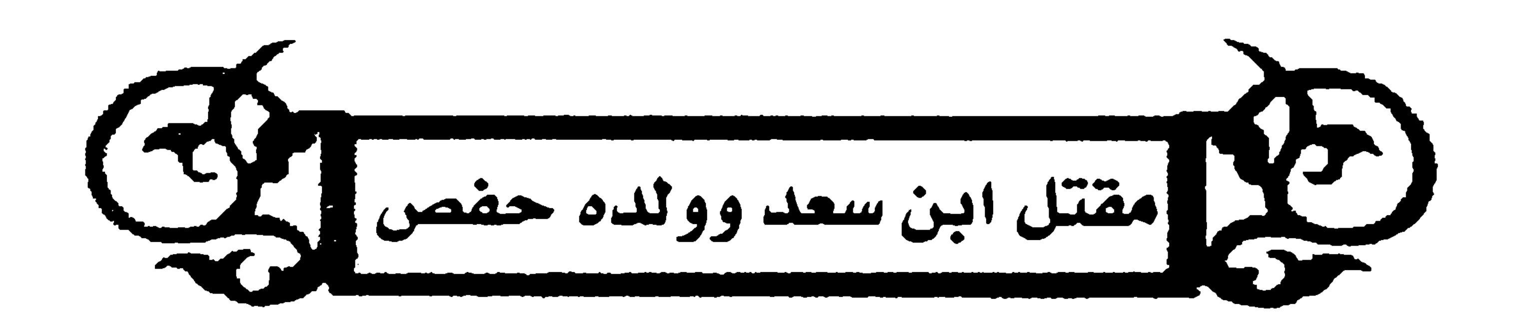
اقتراب موعد القتل

وبواسطة هذا الأمان أخذ عمر بن سعد يتردد على مجلس المختار إلى أن جاء اليوم الذي قتل فيه عبد الله بن كامل وهو من خلص أصحاب المختار المقربين إليه. فخشي عمر بن سعد من غضب المختار فاحتضن نفسه في دار يحيى بن جعدة وهو ابن أخت أمير المؤمنين(ع) فطرده يحيى من منزله وشتمه. فرجع إلى منزله وأرسل زوجته وهي أخت المختار إلى المختار لتستطلع الأخبار إلا أنها لم ترجع إليه. إلى أن جلس المختار يوماً في مجلسه العام وقال: لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين، مترف الحاجبين يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين[1] فكان الهيثم بن الأسود عند المختار وسمع هذه المقالة فوقع في نفسه أن الذي يريده المختار هو عمر بن سعد فلما رجع إلى منزله أرسل ابنه العريان إلى ابن سعد.

---

(١) المصدر السابق

فأخبره بما حصل وقال له: خذ حذرك فإنه لا يريد غيرك: فقال له عمر بن سعد: جزى الله أباك والإخاء خيراً، كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق(١).



مقتل ابن سعد وولده حفص

وبعد ذلك خرج عمر بن سعد من منزله وأتى رجلاً من بني تميم اسمه «مالك» وكان شجاعاً وأعطاه أربعمائة دينار وقال: هذه معك لحوائجنا وخرجا، فلما كان عند نهر «عبد الرحمن» وقف وقال مالك أتدري لم خرجت ؟ قال لا. قال خفت المختار. فقال مالك: إن هربت هدم المختار دارك وانتهب عيالك ومالك وخرّب ضياعك وأنت أعزّ العرب(٢) وأي حدث أعظم مما منحت(٣) فاغتر بكلامه وعاد إلى منزله في الغداة فاصبح المختار في مجلسه وعنده (حفص بن عمر بن سعد)

---

(١) المصدر السابق

(٢) البحار ج٤٥ ص٣٧٨

(٣) الطبري ج٣ ص٤٦٤

فقال له المختار: أين أبوك؟ فقال في المنزل. وهو يقول أتعني لنا بالأمان؟ قال: اجلس وطلب المختار أبا عمرة وهو كيسان التمار فأسر إليه أن أقتل عمر بن سعد وإذا أدخلت ورأيته يقول: يا غلام علي بطيلساني فانه يريد السيف فبادره وقتله، فذهب إليه أبو عمرة مع رجاله. فلما رآهم عمر بن سعد انقبض فقال له أبو عمرة أجب الأمير، فقال عمر: يا غلام علي بطيلساني فبادره أبو عمرة وقتله على فراشه وجاء برأسه إلى المختار. وعنده ابنه حفص فقال له المختار: أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال نعم ولا خير في العيش بعده، فقال المختار أنك لا تعيش بعده فأمر بقتله. ثم قال المختار لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنمله من أنامل الحسين(ع)[1].

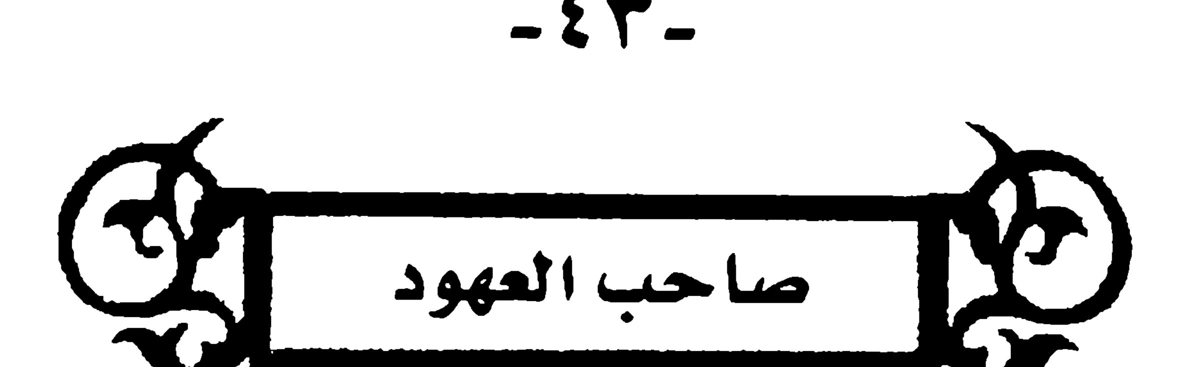
ثم بعث المختار بالرأسين إلى محمد بن الحنفية وكان قد عتب عليه لتأخره قتل عمر بن سعد فبعث الرأسين إليه فلما رآهما محمد بن الحنفية ، خرّ ساجداً ثم رفع يديه بالدعاء وقال: اللهم لا تنسى هذا اليوم المختار وأجزه عن أهل بيت نبيّك محمد(ص) خير الجزاء[2].

---

(١) البحار ج٤٥ ص٣٧٩

(٢) المصدر نفسه

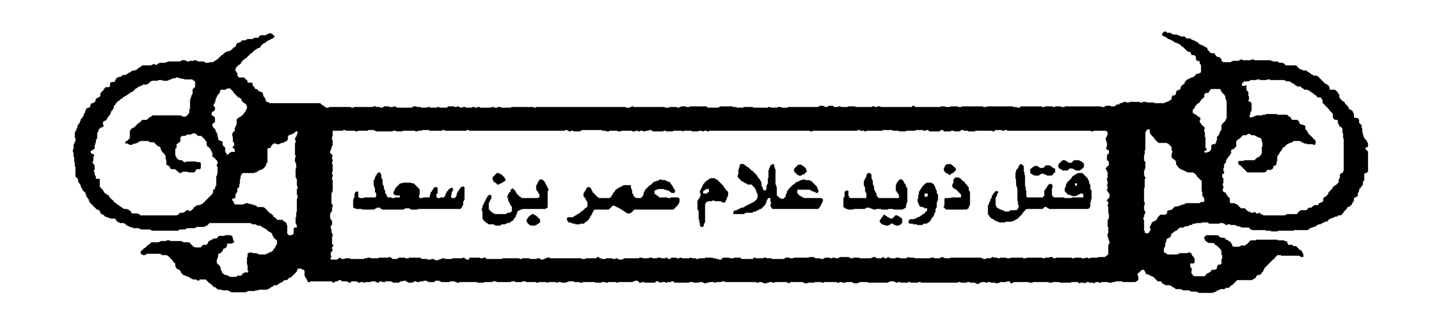
-٤٣-



صاحب العهود

وبعد قتل المختار لعمر بن سعد وولده حفص جيء إليه برجل من أبان بن دارم وقد شدّ الناس وثاقه فأمر المختار بنزع الوثاق عنه ثم سأله ما صنعت يوم كربلاء يا عدو الله ؟ فقال لما خرج العباس بن علي بن أبي طالب من الترعة وهو يحمل قربة الماء نادى عمر بن سعد بالجيش ارموه من كل ناحية ومكان فاختلفت عليه السهام فوقع سهم على عينه اليمنى أما عينه اليسرى فقد جمد عليها الدم ولم يعد العباس يرى أمامه فدنوت منه فرأيته يريد أن ينتزع السهم من عينه فلم يتمكن لأنه مقطوع اليدين فانحنى على فرسه فسقط ما كان على رأسه فأصبح رأسه حاسراً فقلت له يا عباس أين يداك فقال يا لعين عندما كانت لي يدين ما أتيتني فحملت عمود من حديد فضربته على رأسه ففلقت هامته. فقال له المختار يا عدو الله لو كان يرى ما استطعت أن تدنو منه ويلك والله لو قتلتك ألف مرة ما شفيت غليلي فأمر أن يضرب على رأسه بعمود من حديد ثم أمر بقطع يديه ورجليه وألقى جثته بالنار .

- ٤٤ -

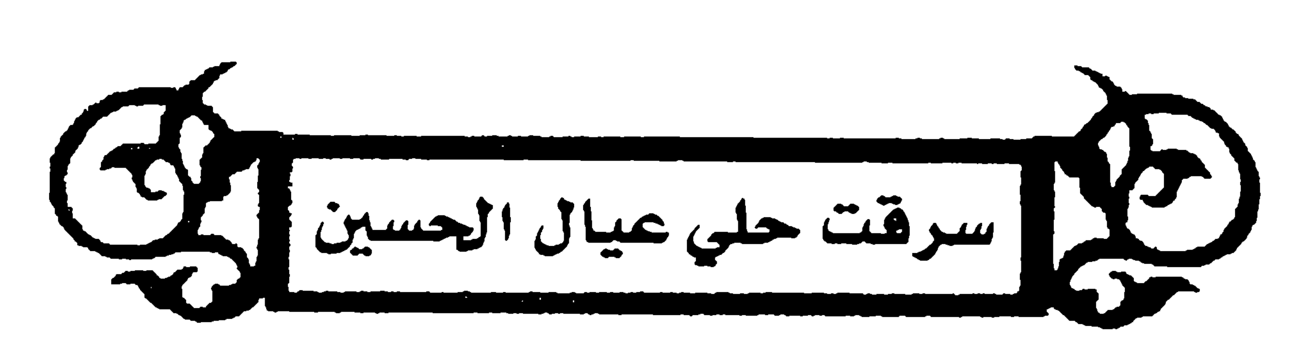


قتل ذويد غلام عمر بن سعد

ثم أرسل المختار أحد رجاله إلى منزل «ذويد» غلام عمر بن سعد فأحضره. فلما رآه المختار قال له ويلك لما خرجت لقتال الحسين بن علي بن أبي طالب(ع) قال طاعة لأمر سيدي . قال ومن سيدك؟؟ قال: عمر بن سعد.

فقال له المختار تسمع كلام عمر بن سعد وتطيعه ولا تسمع قول الله ورسول خبّرني ماذا صنعت قال كنت حامل الراية لمعسكر عمر بن سعد وشاركت في الحملة التي قتل فيها الحرّ الرياحي فأمر المختار فضربوا رأسه وقطعوا يديه وألقي بجثته إلى النار فقال المختار لا أدع منهم أحداً لا سيداً ولا عبداً ولا صغيراً ولا كبيراً شرك في دم ابن بنت رسول الله(ص).

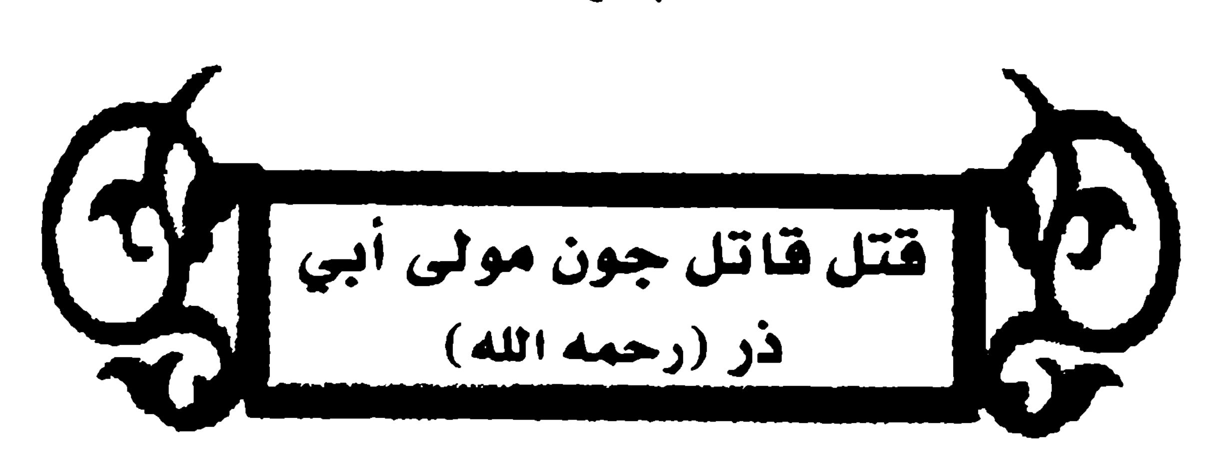
ـ ٤٥ ـ



وبينما المختار في مجلسه جاءت امرأة عجوز إليه وهي تناديه: أين المختار أين المختار فأدخلوها عليه فقالت يا أمير إن لي ولداً يسكن على أطراف القادسية وقبل قتل الحسين(ع) كان في بيتي ومعه زوجته. فأرسل إليه عمر بن سعد فتركنا لساعات ثم رجع فسألته عما يجري فقال: إن عمر بن سعد يريد الخروج إلى كربلاء ليقاتل الحسين بن علي بن أبي طالب ويريدني ضمن جيشه فقلت له وما هو قولك. فقال يا أمي أنت ترين عيشتي ولن ينهاني ابن سعد أو أميره ابن زياد من العطاء. فحذرته من الخروج وذكرته بعاقبة ومعاداة آل الرسول فلم ينفع معه الكلام . وأخذت زوجته بتشجيعه على الخروج . فقال لها المختار وأين هو الآن قالت: هو في بيته في القادسيّة ومعه زوجته فأمر المختار باحضاره مع زوجته وبعد فترة أحضروهما فسأله المختار ألم تتحدث أمك بعدم الخروج لقتال الحسين وأنت ألست تعلم من الحسين

ومن أبوه وأمه فقال: لست وحدي من خرج فقد خرج الكثير فقال المختار لزوجته ماذا تقولين في الحسين قالت لقد خرج على إمارة يزيد فقتله: فقال المختار ويل لك فقال لها مما حدثك زوجك عن المعركة فقالت لم يذكر شيئاً سوى أنه أخذ الحلي من خيام النساء فقال المختار يا لعين من أي الخيام أخذت الحلي ؟ قال من خيمة عيال الحسين(ع) فأمر المختار بقطع يديه ورجليه وألقى بجثته في النار.وأمر بزوجته بقطع لسانها ورأسها.

-٤٦-



قتل قاتل جون مولى أبي ذر (رحمه الله)

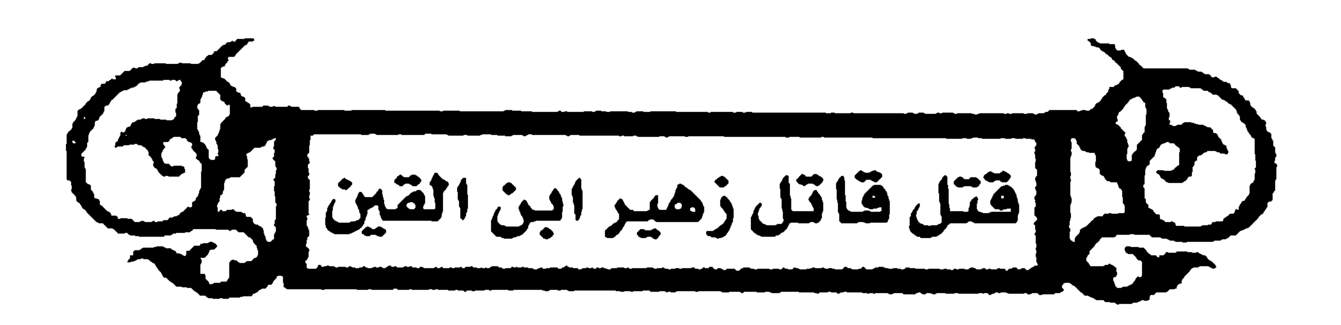
وخرج مجموعة من أصحاب المختار باتجاه أطراف الكوفة. بعد إخبارهم بوجود دار يتجمع فيه بعض قتلة الحسين (ع) فوصل أصحاب المختار بقيادة سعر بن أبي سعر إلى أطراف الكوفة وكانوا متخفين بملابس تجار. فنزلوا بدار أحد تجار تلك المنطقة وفي الليل أخذوا يتبادلون الحديث معه . فذكر الرجل ما يحصل في الكوفة من تتبع المختار لقتله الحسين فقال أتمنى أن يخبر أحدهم المختار بأن في هذه المنطقة دار يتجمع فيه بعض قتلة الحسين فسألوه عن مكان الدار فأخبرهم وعندها أخرجوا سيوفهم وأخبروه بحقيقة أمرهم فدعا لهم وذهب معهم حتى أوصلهم إلى الدار فلما أحسّ من في الدار أنهم أحيوا بهم خرجوا شاهرين سيوفهم فوقعت معركة ضارية فقتل جميع من كان داخل الدار وقطعت رؤوسهم وكان بينهم رجل قتل جون مولى أبي ذر (رحمه الله) فلما رأى المختار الرؤوس وقد أقبلت على الرماح رفع يديه بالدعاء قائلاً الحمد لله حمد الشاكرين على ما وفقنا لأخذ ثأر ابن بنت نبيّه.

-٤٧-

قتل قاتل وهب بن حباب الكلبي

ومن بين الذين قتلهم المختار قاتل وهب بن حباب الكلبي ، حيث أنه خرج إلى ضيعة له هرباً من أن يصل رجال المختار إليه وأمر غلاماً له أن يأتي إليه كل يوم بأخبار الكوفة وما يصنع المختار . فأخذ هذا الغلام يأتي كل يوم إلى سيده ويحدث بما جرى وفي يوم من الأيام تتبّع رجال المختار الغلام فأخذوا يراقبونه من بعيد وعندها علموا أين يذهب وعرفوا مكان سيّده. وعندما حلّ الظلام ذهب أصحاب المختار إليه وأخذوه وكان في الطريق يتكلم معهم ويعدهم بإعطائهم ما يريدون من مال لقاء تركه فقال له أحدهم إن قتلك وتعذيبك أمام عيني أحبّ إلي مما تملك يا عدوّ الله . وفي الصباح أدخلوه على المختار فسأله المختار ماذا صنعت ؟ فقال له لا أتكلّم حتى تعطيني الأمان فقال المختار يا عدوّ الله أمان لك ولكن تكلّم قبل أن آخذ الذي فيه عيناك فقال لقد قتلت وهب بن حباب عندما رأيته يقاتل أمام خيمة الحسين بن علي ورأيت زوجته خلفه وهي تنادي يا وهب يا وهب قاتل دون الطيبين فأمر المختار بقطع يديه ورجليه وصبّ على رأسه الزيت الحار عليه لعنة الله .

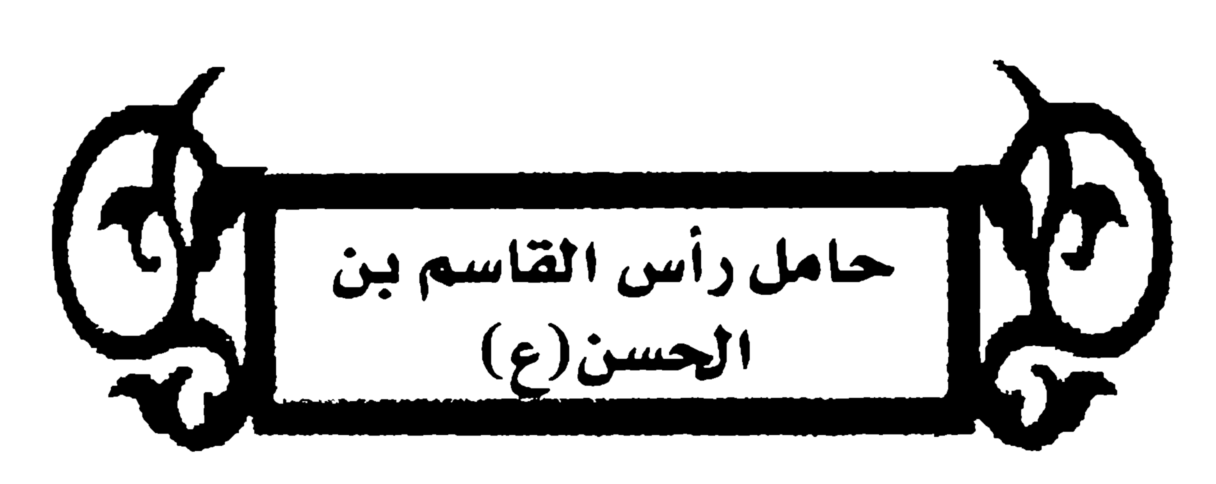
-٤٨-



قتل قاتل زهير ابن القين

وجاءت امرأة إلى مجلس المختار وأخبرته أن زوجها من بني بكر بن وائل. اشترك في قتال الحسين وهو مختبئ في الدار ولم يسمح لأحد بالخروج من الدار خوفاً من اخبارك بمكانه فلما رأيته الآن قد أخذه النوم جئت إليك لأخبرك فجزاها المختار خيراً وأمر أصحابه بالذهاب معها إلى الدار فذهبوا ففتح اللعين عينيه على جلبة السيوف فرآها مشهورة عليه فنظر إلى زوجته وقال: لقد فعلتها يا عدوّة الله. فقالت له إن عدوّ الله من يقتل أولياء الله. فأخذه أصحاب المختار إلى المجلس فسأله المختار ماذا صنعت فقال: قتلت زهير ابن القين من معسكر الحسين بن علي. فقال المختار فهل سمعت الحسين ما قال عند قتلك لزهير قال سمعته يقول اللهم احصهم عددا ولا ترضي الولاة عنهم أبداً فانهم دعونا لينصرونا فاتخذوا علينا يقاتلوننا . فأمر المختار به فضربت عنقه عليه اللعنة أبد الآبدين .

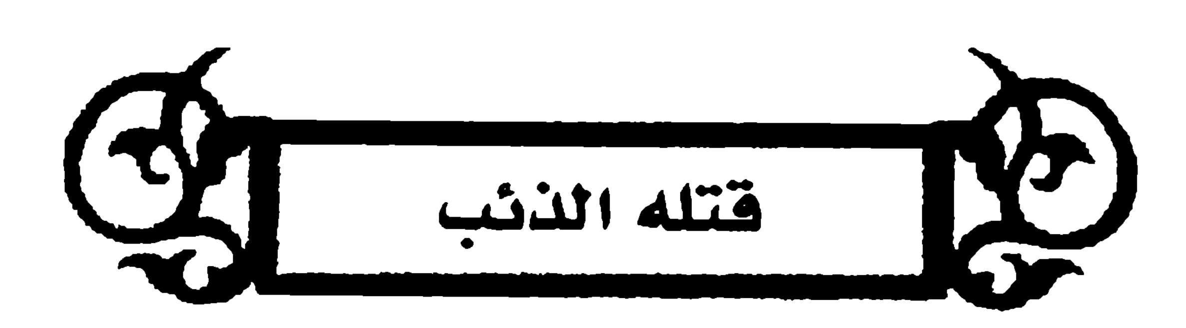
-٤٩-



حامل رأس القاسم بن الحسن(ع)

وألقى أصحاب المختار القبض على حامل رأس القاسم بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (ع) وهو في طريقه إلى البصرة للإلتحاق لمصعب بن الزبير وجيء به إلى المختار فسأله المختار قائلاً: ماذا صنعت في كربلاء؟ فقال: لما بدأ القتال رمى عمر بن سعد أول السهام على معسكر الحسين فقالوا إشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى ورمينا بعده السهام ودارت رحى الحرب وبعد أن انتهت الحرب أمر بن سعد بالرؤوس فقطعت. وحملت كل قبيلة رأس من هذه الرؤوس. فحملت رأس القاسم بن الحسن لقبيلتي . وسرنا إلى الكوفة ووضعناه أمام عبيد الله بن زياد فقال له المختار ويلك يا عدو الله وأنتم تعلمون من هو الحسين وأهل بيته لا غفر الله لكم . فأمر المختار بقطع رأسه ووضعوه على الرمح ونصبوا الرمح في كناسة الكوفة .

-٥٠-



قتله الذئب

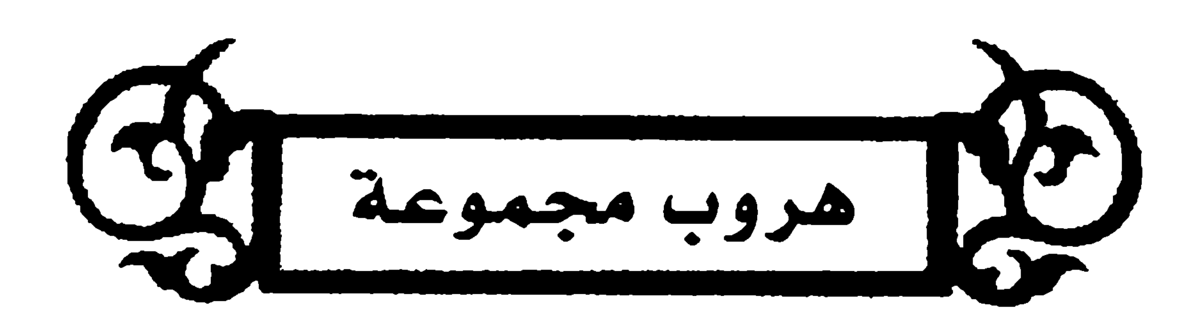
وهرب أحد قتلة الحسين من الكوفة قاصداً البصرة وفي الليل إنقطعت به مطيته وتاه في وسط الصحراء فلم يجد طريقاً يهتدي به إلى الخروج من الصحراء فأحاطت به الذئاب وإفترسته فلم يجدوا منه سوا أطراف أصابعه، فسأل أصحاب المختار في بيوتات الكوفة حتى عثروا على داره فأخبروا زوجته بما جرى لزوجها، فقالت: لقد خرج قبل ليلتين خوفاً من الطلب المختار إلى البصرة، فقالوا لها: وما كان صنيعه في كربلاء، فقالت: أخبرني أنّ كان واقفاً على مشرعة الماء مع جيش عمر بن سعد ومنعوا الماء عن مخيم الحسين بن علي(ع) وعندما هجم الجيش على معسكر الحسين وسرقوا ما فيه أخذ حلي من إحدى بنات الحسين وكانت تبكي فبكى عندما رآها تبكي فقالت له تسرقني وتبكي؟ قال لها وكيف لا أبكي وأنا أسرق بنت رسول الله(ص) فقالت له إذا كنت تعرفني وأنا بنت رسول الله(ص) فلِم تسرقني، فقال لها إذا لم أسرقك فسوف يسرقك غيري، فقال المختار لعنه الله وأدخله في نار جهنم الحمد الله الذي جعل موته على ذئب من ذئاب الصحراء.

-٥١-

قتل قاتل زهير بن القين

وذهب أصحاب المختار على دار أخبرهم شخص بأنّ صاحبها شارك في قتال الحسين(ع) فذهبوا إلى الدار وأخذوه إلى مجلس المختار فسأله ماذا صنعت؟ فقال: شاركت في الحملة التي قتل فيها زهير بن القين فقال له المختار: ما الذي حملك على قتال ابن بنت رسول الله وأهل بيته وأصحابه؟ فقال: يا أمير لقد قاتلنا الحسين بن علي بغضاً لأبيه أبي تراب لأنه لم يترك من صناديد العرب ورجالها إلاّ وقتله فقال له المختار ويحك يا عدو الله ألم يكن يقاتل على بقاء هذا الدين من أمثالك يا لعين ولكني أخبرني هل لك من أبائك وأخوتك ممن قتلهم علي بن أبي طالب فقال المختار لعنك الله ولعن أبيك وأدخلكما في سقر فأمر المختار بقطع يديه ورجليه وأمر بضرب عنقه وألقاه في النار وهو يقول بأساً لها من ذرية ومن فرع ومن شجرة.

-٥٢-



هروب مجموعة

وهرب مجموعة من قتلة الحسين(ع) إلى الموصل متجهين إلى عبيد الله بن زياد وحيث كان على الموصل فلما وصلوا إلى عبيد الله بن زياد وأخبروه بما يضع المختار في الكوفة من قتله لجميع قتلة الحسين(ع) وهو يقيم أن يقتل الجميع ما دام حياً فسأل عبيد الله عن العديد من الذين قتلوا وسأل عن عمر بن سعد فأخبره بأنه قُتل مع ولده «حفص» فبعث بكتاب إلى عبد الملك بن مروان يُخبره بما يجري في الكوفة وأنه ينتظر من الأوامر وجاءت الأخبار إلى الموصل بأنّ المختار يُعد العدة ويجمع الجيش لقتال عبيد الله بن زياد فلما سمع عبيد الله بذلك أمر جيشه بالإستعداد للتحرك لملاقاة جيش المختار.

الإستعداد للحرب

وبعد أنْ قتل المختار الكثير ممن قاتلوا الإمام الحسين(ع) يوم عاشوراء أمر إبراهيم الأشتر أنْ يستعد لحرب القاتل عبيد الله بن زياد وكان عبيد الله على الموصل من قِبل عبد الملك بن مروان فجهز المختار جيشاً تعداده إثني عشر ألف مقاتل وسار بهم إبراهيم نحو الموصل بعد أنْ قطع مراسل مهمة في مسيره وهي «المدائن» و «الأنبار» و «وتكريت» فنزل على نهر «الخازر» الذي يبعد عن الموصل أربعة فراسخ لكي يُعطي قسطاً من الراحة لجيشه فلما سمع عبيد الله بن زياد بالأمر سار إليهم مع ثلاث وثمانية ألف مُقاتل حتى وصل إلى نهر «الخازر» وعسكر بالقرب من جيش إبراهيم الأشتر.

الحرب خدعة

ولما رأى إبراهيم الأشتر السيول البشرية التي قادها إبن زياد، علم أنه لا طاقة له بمقاومة كل هذا العدد الهائل فأخذ يفكر بحيلة ما يتدارك بها الموقف فدبر خدعة طريفة فقد أرسل إبراهيم الأشتر إلى أحد أقربائه وإنفرد به دون علم أحد وشرح له خدعته التي يتخذها أثناء الحرب فطلب من أنْ يجمع له أكبر عدد ممكن من الطيور «الحمام» البيضاء دون علم أحد فإذا رأى الإنكسار بادياً في جيش العراقيين «جيش أبن الأشتر» أطلق سراح هذه الطيور البيضاء وسط المعركة دون أنْ يلتفت إليه أحد بطريقة ذكية.

وبالفعل فلما دارت رحى الحرب والتحم الجيشان وظهر الضعف في جيش إبن الأشتر صاح إبراهيم الأشتر وهو يقاتل إني قرأت في الكتب السماوية أنّ لله ملائكة عصاب يرسلهم لنا على هيئة الطيور البيضاء، فلما سمع ذلك الرجل قول إبراهيم أخذ يطلق سراح هذه الطيور فلما نظر أصحاب إبراهيم إلى الطيور فوق رؤوسهم صدّقوا قوله وارتفعت معنوياتهم وإزدادوا إعتقاداً وإيماناً بحربهم هذه ظناً منهم أنّ هذه

الطيور هي الملائكة المرسلة إليهم فكبروا الله ثم هجموا على العدو بكل قوة وثقة ودفعوهم وقتلوهم وهزموهم شر هزيمة وقتلوا رئيسهم عبيد الله بن زياد عن نهر الخازر وقال الشاعر يهجو إبن زياد ويذكر مكان قتله:

إنّ المنايا إذا مـــا زرن طاغيـة

هتكت عــنه ستوراً بعد أبواب

إنّ الـــذي عاش غداراً بذمته

ومـــات هزلاً قتيل الله بالزاب

ما تشق جيب ولا نـاحتك ناحبة

ولا بكتك جيـــاد عند أسلاب

هكذا قتلت عبيد الله

لقد إستطاع إبراهيم بن مالك الأشتر أنْ يُنزل القصاص العادل بعبيد الله بن زياد لعنه الله في هذه الحرب وهي إحدى مفاخرة وقد قص إبراهيم طريقة قتله لهذا اللعين. فقال وهو يُحدث أصحابه بعد إنتهاء الحرب إني رأيت بعدما إنكشف الناس طائفة منهم قد صبرت تقاتل فأقدمت عليهم وأقبل رجل أخذ في كبكبه كأنه بغل أقمر يغري الناس لا يدنو منه أحد صرعه، فدنا مني فضربت يده فأنبتها وسقط على شاطئ نهر فضعفت يداه وتورما رجلاه فقتلته وأظنه إبن زياد فأطلبوه، فجاء رجل فنزع خفيه وتأمله فإذا هو إبن زياد لعنه الله على ما وصف ابن الأشتر. فاحتز رأسه وهو يقول الحمد الله الذي جعل قتله على يدي ثم أمر إبراهيم بحرق جسد عبيد الله بن زياد فاستوقدوا به طيلة ليلتهم.

رأس إبن زياد أمام المختار

بعدها أرسل إبراهيم الأشتر برأس عبيد الله بن زياد وبعض رؤوس قتلة الحسين(ع) مثل الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري وابن حوش وغالب الباهلي وأبو الأشرس بن عبد الله وهو والي خراسان ورغاء بن عازب الأسدي وعبد الله بن زهير السلمي وغيرهم وكتب اسم كل واحد في ورقة صغيرة وجعلها في رأسه ثم كتب للمختار قصة الحرب بصورة مفصّلة. وأرسل ذلك كله للمختار. وكان المختار ينتظر الخبر في المدائن. وقد أخبر لمن حوله من أهل الكوفة أن الظفر والنصر حليف إبراهيم وعن قريب سيأتي خبر انتصاره.

وبالفعل فقد أقبلت رؤوس المجرمين ورسالة النصر مع رسل إبراهيم. فقال المختار ألم أقل لكم؟ وكان ذلك فراسة مؤمن فقد قال رسول الله (ص):« فراسة المؤمن لا تخطئ ».

وجه نجس كافر

وعندما وضعت الرؤوس أمام المختار. قام فوطأ وجه عبيد الله ابن زياد بنعله ثم رمى بها إلى مولى له وقال: إغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر، وعاد المختار إلى الكوفة، ومعه الرؤوس تزين على سبعين رأساً يقدمها رأس الكافر عبيد الله ابن زياد. ليراها أهل الكوفة. ويفرحوا بقتل هؤلاء المجرمين كما فعل ابن زياد برؤوس أهل البيت وأصحابه.

اللهم لا تمتني حتى تريني رأس عبيد الله

ثم بعث المختار رأس عبيد الله ابن زياد مع رأس شرحبيل بن ذي الكلاع مع عبد الرحمن بن أبي عمير وعبد الله بن شداد الجشمي والسائب ابن مالك إلى محمد ابن الحنفية بمكة. وكتب إليه برسالة مع ثلاثين ألف دينار. فلما وصلوا إلى محمد ابن الحنفية. ووقعت عينه على رأس عبيد الله ابن زياد سجد لله شكراً ودعا للمختار ولإبراهيم قائلاً: جزاه الله - المختار - خير الجزاء فقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم. اللهم احفظ إبراهيم بن الأشتر وانصره على الأعداء ووفقه لما تحب وترضى واغفر له في الآخرة والأولى.

وكان الإمام علي بن الحسين السجّاد (ع) بمكّة في ذلك الحين فبعث محمد بن الحنفيّة رأس ابن زياد إليه، فقدموا بالكتاب والرؤوس إليه وهو يتغدّى. فلما رآه سجد لله شكراً ثم رفع رأسه وقال: الحمد لله الذي

أدرك لي ثأري من عدوي وجزى الله المختار خيراً ثم قال: دخلت على ابن زياد (لعنه الله) وهو يتغدّى ورأس أبي بين يديه فقلت اللهم لا تمتني حتى تريني رأس عبيد الله ابن زياد وأنا أتغدّى فالحمد لله الذي أجاب دعوتي وقد ذكر العلاّمة المجلسي عن رجال الكشي مسنداً عن الإمام الصادق(ع) أنه قال: ما امتشطت فينا هاشميّة ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين وروي عنه أيضاً: ما اكتحلت هاشميّة ولا اختضبت ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله ابن زياد.

ثم إن محمد بن الحنفية قسم المال في أهله وشيعته بمكّة والمدينة على أولاد المهاجرين والأنصار. وأصبح شيعة أهل البيت في الكوفة مسرورين لقتل قتلة الحسين وأهل بيته وأصحابه وأقبلوا يتوافدون على مجلس المختار يهنّئونه بقتل أعداء الله. وخطب فيهم المختار بعد الصلاة وجزاهم خيراً لما بذلوه من العون والجهد والقتال من أجل الأخذ بثأر أهل البيت وأخذ الشعراء ينظمون قصائدهم بهذا الشأن فقال أحدهم:

سُرَّ النبيُّ بأخذ الثأر من عـصب

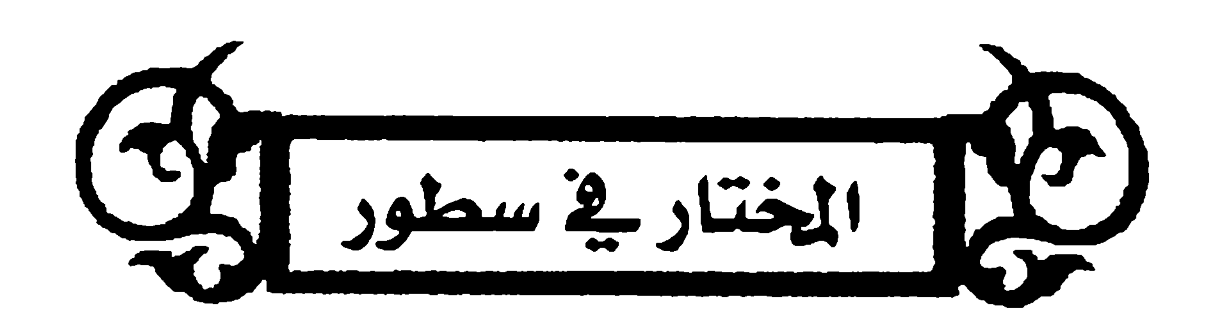
باؤوا بقتل الحسين الطاهر الشيمُ

قوم غذوا بلبان البغض ويـــــحهُمُ

للمرتــضى وبنيه ســـادة الأممُ

حاز الفخار الفتى المختار إذ قعدت

عن نصره سائر الأعراب والعجمُ



المختار في سطور

هو المختار بن أبي عبيد الله بن مسعود بن عمير الثقفي وكنيته أبو إسحاق. وكان أبو عبيد الله والده يتنوق في طلب النساء . فذكر له النساء قومه فأبى أن يتزوج منهن فأتاه آتٍ في منامه فقال تزوّج «دومة» الحسناء الحومة. فما سمع فيها للائم لومة. فأخبر أهله فقالوا: قد أمرت فتزوّج «دومة» بنت وهب بن عمر بن معتبّ فلما حملت بالمختار قالت: رأيت في النوم قائلاً يقول:

أبـــشري بالولــــــد

أشبه شـــيء بالأسـد

إذا الـــرجال في كبد

تـــقاتلوا عـــلى بلـد

كان له الحظ الأشدّ

فلما وضعت أتاها ذلك الآتي فقال لها: إنه قبل أن يترعرع وقبل أن يتشعشع قليل الهلع كثير التبع.

■ حضر مع أبيه وقعة «قسّ الناطف» وهي وقعة لهم على الفرس في موضع قرب الكوفة وكان عمره ثلاث عشرة سنة. وكان يتفلت للقتال فيمنعه سعد بن مسعود «عمه» .

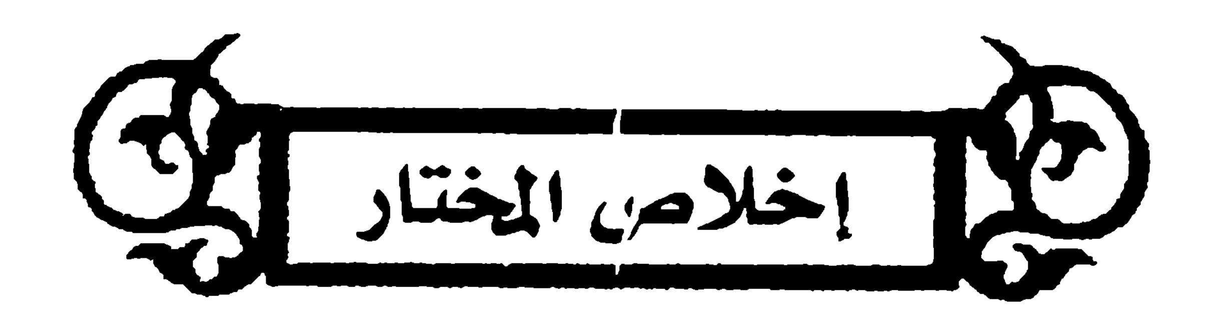
■ نشأ مقداماً شجاعاً، لا يتقي شيء وتعاطى معالي الأمور وكان ذا عقل وافر، وجواب حاضر وضلال مأثورة ونفس بالنماء موفورة، وفطرة تدرك الأشياء بفراستها، وهمة تعلو على الفراقد بنفاستها وحدس مصيب وكفئ في الحروب مجيب. ومارس التجارب فحنّكته ولابس الخطوب فهذّبته.

■ سجن أول مرّة من قبل عبيد الله بن زياد وبعد أن أمر بضربه ضرباً مبرحاً على رأسه ووجهه. حتى سال الدم منه ثم أمر بحبسه وكان في السجن ميثم التمار وعبد الله بن حارث بن نوفل وعمير بن عامر الحمداني أديب وشريف أهل الكوفة وإلى أن قتل الحسين(ع)

بعث المختار إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله أن يشفع فيه وكان ابن عمر تزوج أخت المختار صفية بنت أبي عبيد ، فكتب ابن عمر إلى يزيد(لع) يشفع فيه فأرسل يزيد إلى ابن زياد يأمره بإطلاق سراحه. فأطلقه وأمره أن لا يقيم غير ثلاث ، فخرج المختار إلى الحجاز. وهناك كان ابن الزبير يدعو إلى نفسه سراً فإلتقاه المختار وعرض عليه فكرة الطلب بثأر الإمام الحسين(ع). فوافق عبد الله ابن الزبير أولاً. ولكن بمجرّد موت يزيد(لع) ترك ابن الزبير الطلب بثأر الإمام الحسين(ع) ودعا الناس إلى نفسه فتركه المختار وعاد إلى الكوفة.

■ سجن مرة ثانية حينما كانت الشيعة تبايع سليمان بن صرد الخزاعي لقتال قتلة الحسين(ع). فبعد أن ورد المختار إلى الكوفة وخطب في الشيعة خطاباً شديد اللحن وتوعد أعداء أهل البيت(ع) بالقتل والإنتقام . ثارت حمية بعض القتلة ضده . وكان في طليعتهم عمر بن سعد ، وشبث بن ربعي، وزيد بن الحرث وآخرين فاجتمعوا وقال عمر بن سعد: إن المختار أشد عليكم من سليمان إنما خرج يقاتل عدوّكم ، وإن المختار يريد أن يثب عليكم في مصركم. فسيروا

إليه وأوثقوه بالحديد. واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس فأتوه وأخذوه بغتة ، فلما رآهم قال : مالكم ؟ فوالله ما ظفرت أكفكم ثم حمل إلى السجن مقيّداً. فكان في السجن طيلة حرب التوابين مع الظلمة في الشام.



إخلاص المختار

لقد أثار العديد بعض الإشكالات حول حركة المختار وإخلاصه وقدموا إشكالان على هذه الحركة وهما:

■ أولهما: أن المختار أخذ الإذن في حركته ضد قتلة الحسين(ع) من محمد بن الحنفيّة وليس من إمام عصره زين العابدين السجاد(ع) . وبذلك أتهم المختار بأنه من الكيانين الذين يؤمنون بإمامة محمد بن الحنفيّة وأنه المهدي المنتظر.

■ ثانيهما: أنه (المختار) حاكم طالب للدنيا، بدليل أنه لم يسلم حكمه لأهل الحق، بما فيهم الإمام زين العابدين(ع) .

وقد أجاب على هذين الإشكالين الشهيد محمد السعود في كتابة

شرارات من فلسفة تاريخ الحسين فقال ينبغي النظر إلى عدة مستويات:

❖ المستوى الأول: أنه لا شك أنه مخلص (المختار) بدرجة معتد بها حيث شارك مسلم بن عقيل في حركته . وأعانه على أهدافه. وهو يعلم أن من نتائج ذلك السجن أو القتل، لأن الحكم الحقيقي لم يكن بيدهم بل بيد أعدائهم وقد تحمل السجن عدة سنوات ثم طالب بثأر الحسين(ع) ولم يكن ذلك شكلياً، لأنه لو كان كذلك لما كانت هناك هبة لقتل قتلة الحسين(ع) مع أنه كان متحمساً إلى هذه الجهة ومهتماً بها . مضافاً إلى أنه قتل في سبيل عمله . لو كان طالباً للدنيا لكان في الأول أن يصالح أو يهادن أو يتنازل أو يختفي على أقل تقدير. ولم يفعل ذلك .

❖ المستوى الثاني: إن الإمام السجاد(ع) كان بعد مقتل أبيه في تقية مكثفة ووضع دنيويّ لا يحسد عليه. ولم يكن في نظره من المصلحة أن يصرح بأي شيء سياسي أو اجتماعي طول حياته حفاظاً على البقية الباقية من أهل البيت(ع) . وإنه يكفي ما أريق من دمائهم في كربلاء وإذا كان للحسين(ع) هذا المقدار من

الأنصار والتابعين فلم يستطيع الإمام السجاد أن يجد مثل عددهم. وأمامه عمل الحسن(ع) مثالاً بحيث أضطر من الناحية الدنيوية أن يصالح معاوية وهو إنما اضطر إلى ذلك بصفته قائداً لمعسكر ورئيساً لحركة. فالأفضل للسجاد(ع) أن لا يكون في مثل هذا الموقع حتى لا يضطر إلى إيجاد الصلح مع حاكم زمانه أياً كان. بل يستقرّ في بيته ويخدم دينه في حدود التقية المكثفة ولم يقصّر في ذلك.

وهذا المعنى مانع أكيد وشديد عن أن يأذن للمختار بالحركة والإنتقام من قتلة الحسين(ع) بحيث يقول ذلك للمختار علناً بين الناس . ولربما أن الإتصال بينهما قد حصل وقد فهمه السجّاد(ع) عدم وجود المصلحة في جوابه، وإعلان إذنه. أو أنه أذن له أوامره بالكتمان أو أنه هو الذي وجهه إلى محمد بن الحنفيّة وإعلان رأيه.

غير أنه مما يبعد ذلك أنهما لم يلتقيا، لأن المختار بالكوفة، والسجاد(ع) بالمدينة ولم يرد أن المختار ذهب إلى المدينة. ولكن ينتفي ذلك لأن محمد بن الحنفيّة كان في المدينة والمختار في الكوفة وقد تم الإتصال بينهما بواسطة المراسلة فيمكن أن يكون أن المختار اتّصل بالإمام السجاد(ع) بنفس الطريقة وحيث أنه اجتماعياً ودينياً في نظر المختار قد تكون حركته مبتذّة إلى واحد من العلويين

أو من أهل البيت(ع) فكان محمد بن الحنفيّة هو أوجه الناس عمراً وفقهاً وورعاً من إعلان اسمه في الإذن بهذه الحركة. بدلاً من السجاد(ع) وهذا هو التبرير التقليدي المعروف.

ولكن لا يتعيّن على المختار استئذان أحد اطلاقاً بعد عجزه على أخذ الإذن من السجاد(ع) أو عجزه عن إعلان ذلك إلا أن هذا تابع لمقاطعة المختار في ذلك الحين وما وجد من المصلحة في ذلك فكأنه يرى أن أهمية حركته منوطة بأخذ الإذن من العلويين وأن أهمهم هو ابن الحنفيّة.

وإنما علاقته (المختار) بابن الحنفيّة أكثر من ذلك. بمعنى أنه يعتبره إماماً مفترض الطاعة. أو أنه يعتبره هو المهدي(ع) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بل نحن نجله عن ذلك. ويكفي معاشرته للمخلصين السابقين عليه في وعيه وثقافته الدينية كمسلم بن عقيل(ع) وغيره. ومن هنا فمن غير المحتمل أن يكون كيسانياً.

على أنه من المحتمل القول بأن مذهب الكيسانية كذب. بمعنى أنه لم يحصل لأحد إطلاقاً وإنما هو نبذ الأعداء ضد مذهب الإمامية . ولو حصل ذلك لوصل الخبر إلى محمد بن الحنفيّة . ولو

وصل الخبر إليه لكذّبه بنفسه وانتهى الحال. وأما رضا (محمد بن الحنفيّة) بالإمامة فهو بعيد جداً، فهو من تربية المعصومين(ع) ويعلم أن الإمامة منوطة بشروط عظيمة في عللها ومعلولاتها لا تتوفّر به .

مضافاً إلى أنه مسبوق لا محالة بالأخبار الدالة على وجود اثني عشر إماماً بعددهم وأسمائهم وهو ليس منهم كما أنه مسبوق لنص الحسين(ع) على ولده السجاد(ع) بالإمامة وكل ذلك يمنع الظن برضاه بذلك.

ثم أنه قد ورد خبر عن تحكيم الحجر الأسود في إمامته وإمامة السجاد(ع) وإن الحجر شهد للإمام السجاد(ع) وهذا أمر معقول ولا يدل على اعتقاد ابن الحنفيّة بذلك بل هو لمجرّد الإعلام لإمامة السجاد(ع) لكي لا يتخيّل أحد أن محمد بن الحنفيّة وهو أكبر عمراً من السجاد(ع) هو متحف للإمامة مضافاً إلى ما ورد من القاعدة العامة القطعية عند الإمامية وهي إقناع أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين وهي تمثّل عدّة موارد منها محل الكلام . أعني تكون سبباً لنفي إمامة محمد بن الحنفيّة .

إذاً فلم يثبت أن أحداً من المسلمين أو من الشيعة كان كيسانياً

إطلاقاً . نعم ينسب شعر إلى كثير عزة بمضمون اعتقاده :

ألا إن الأمـــة مـــن قريش

ولاة الحق أربـــــعة ســـواء

عـلي والـــثلاثة مـــن بنيه

هـم من أسباط ليس بهم خفاء

مسبط سبط إيمـــان وبـــر

وسبـــط غــــيبته كـــربـــلاء

وسبط لا تـــراه العين حـــتى

يـقود الخيل بقدمـــه الــــلواء

تغيب لا يـرى عـــنه زمـاناً

برضوى عنده عـــسل ومـــــاء

وهذا مضافاً إلى احتمال الوضع والدسّ فيه، بل لعل كثير عنزة قال لأجل الدسّ فإنه ليس منه إن هذا رابع المشار إليه هو محمد بن الحنفيّة بل هو المهدي صاحب الزمان(عج) وليس في الكلام ما يدل عليه إلاّ قوله: (علي والثلاثة من بنيه) يعني الصليبيين إلا أن ذلك

غير متعيّن كما هو واضح فإن الإمام المهدي (عج) أيضاً هو من أولاد علي(ع) وفاطمة(ع) وإن محمد بن الحنفيّة ليس بسبط رسول الله(ص) فتعيّن في صاحب الزمان .

وهكذا يتضح أن الإعتقاد بمهدويّة محمد بن الحنفيّة ، أيضاً من الدس والمجعولات لا أكثر ولا أقل ولو فرض أن أحداً كان معتقداً بها فقد اندثرت في مهدها لتكذيب محمد بن الحنفيّة نفسه أو عدم انصياعه وحماسه لمصلحتهم على الأقل.

وكذلك للعلم والفضائل التي كانت تمتثل عن المعصومين(ع) كالسجاد والباقر(ع) مما يجعل عدول الشيعة إليهم لا عنهم . وربما كانت مثل هذه الأفكار خطرت في ذهن البعض ثم تاب عنها لا أننا نقول أنها فرقة كانت موجودة. وإنما انقرضت بموت صاحبها فإن ذلك خرافة ودسّ في التاريخ لا أكثر.

فإذا لم يكن للفرقة الكيسانية وجود حقيقي في التاريخ، أو قلّ وجودهم على أقل تقدير - لو كان لها وجود - ضعيف فمن غير المحتمل انتساب المختار إليها .

على أنه ليس من مصلحته إعلان ذلك أي إعلان إماماً ابن الحنفيّة دون السجاد(ع) إنما هو فقط اعتمد على إذن ابن الحنفيّة

في حركته . وهذا ثابت تاريخياً في الجملة. وبالنتيجة تصل إلى أنه لم يكن هناك وجود لفرقة تسمى بالكيسانية أو كان لهم وجود على أقل تقدير ولكنه وجود ضعيف وعرفنا أن سبب أخذ المختار الإذن من ابن الحنفيّة دون الإمام السجاد هو بسبب التقية المكثفة التي كان يعيشها الإمام السجاد وقد يكون أذن المختار بطريقة ما ولكن فضّل عدم إعلان ذلك. وأن يكون الإعلان بإسم محمد بن الحنفيّة فهو لا خطر عليه من هذه الناحية .

وهذا يتضح إخلاص المختار وولائه لأهل بيت النبوة وطاعته للإمام السجاد(ع) وفي الكلام القادم سنرى المدح من أهل البيت للمختار وحركته.

رحم الله أباك

قال عبد الله بن شريك: دخلنا على أبي جعفر(ع) يوم النحر وهو متكئ وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبّلها فمنعه ثم قال: من أنت ؟ قال أنا أبو محمد الحكيم بن المختار بن أبي عبيدة . وكان متباعداً عن أبي جعفر(ع) فمدّ يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منحه يده ثم قال: أصلحك الله أن الناس قد أكثر في أبي وقالوا والقول والله قولك. قال(ع): وأي شيء يقولون ؟ قال يقولون كذّاب ولا تأمرني بشيء إلا قبلته فقال(ع): سبحان الله..سبحان الله..أخبرني أبي والله أن مهر أمي كان مما يبعث المختار أولم يبن دورنا. وقتل قاتلنا وطلب بدمائنا ؟ رحم الله أباك ما ترك لنا حقاً عند أحد إلاّ طلبه وقتل قتلتنا وطالب بدمائنا.

لا أريد الدخول إلى الجنّة

كان العلاّمة الدربندي الحائري محباً ومتفانياً للإمام الحسين(ع) وقد وصل صدقه وإخلاصه في العزاء لمصابه والبكاء لمظلوميته. إنه عندما كان يقوم وهو جالس على المنبر يذكر مصاب الحسين . يفقد سيطرته على نفسه فيلقى بعمامته على الأرض . ويمزّق رداءه ثم يُغمى عليه من فرط التأثر والحزن للحسين(ع) وفي يوم عاشوراء من كل عام، كان يلطخ جسمه ووجهه بالسكين وينثر التراب على رأسه، ويمشي في الأزقة والشوارع على هذه الهيئة وآيات الحزن والأسى والتفجّع الشديد بادية عليه بكل وضوح. وحينما مرض في كربلاء واشتد به المرض إلى حدّ الموت. أوصى بعض العلماء الذين زاروه وهو على فراش المرض بأن لا يُدفن جسمانه في أرض كربلاء وعندما سألوه عن السرّ في ذلك - والعجب الشديد

أخذ بهم بسبب أن كلّ مسلم شيعي مؤمن يتمنى من كل قلبه بأن يُدفن في كربلاء - أجابهم بالقول أن أرض كربلاء قطعة من الجنة وأن كل من يُدفن فيها يدخل الجنة مباشرة يوم القيامة. وأنا لا أريد الدخول إلى الجنة مباشرة فقال له العلماء الذين بقربه ولماذا ؟! قال بل أريد قبل ذلك أن أقف في صحراء الحشر لأرى بأم عيني كيف يساق ويُجر قتلة الإمام الحسين(ع) إلى النار والجحيم . وبذلك ينشرح صدري ويطمئن قلبي وترتاح نفسي.

سؤال وإجابة

إن المختار الثقفي حين حركته طالب بدم الحسين(ع) ولم يطالب بدم مسلم بن عقيل مع أنه أيضاً في الكوفة ولم يكن قد مضى على مسلم بن عقيل زمان طويل وكان كل من في الكوفة يتذكر مسلماً؟

هناك أسباب فمنها:

١- إن قضية مسلم بن عقيل من ضمن قضيّة الحسين(ع) فإذا طالب المختار بقضية الحسين(ع) فقد طالب بقضيّة مسلم بن عقيل لأنها واحدة لا تنفصل وكما لم يُذكر اسم مسلم بن عقيل لم يُذكر إسم حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وغيرهم من أصحاب الحسين(ع) لأن قضيتهم واحدة مع الحسين(ع) فذكر الحسين يكفي عن الجميع.

٢- إن ذكر الحسين(ع) هو الذي يجمع الناس والهمة. ويكون

له الصولة والجولة دون غيره كما هو واضح والمهم أن يًذكر مفرداً دون شريك لكي يؤثر هذا الأثر

٣- إن ذكر الحسين(ع) ينسي ذكر الآخرين مهما كانوا. وإنما قتل المختار رجال بني أمية لأنهم أعداء الحسين(ع) وليس لأنهم قتلوا الآخرين كما يقول الشاعر:

أنســـــت رزيّتكم رزايانا الـــتي

ســـــلفت وهوّنت الرزايا الآتـــية

ومـــــصائب الأيام تبقى بـــرهة

وتـــــزول وهي إلى القيامة باقية

٤- إنه من قال أن المختار ذكر الحسين وحده ؟ وإن كانت العبارة المشهورة هي«يا لثارات الحسين» ولكن هذا لم يثبت بطرق معتبرة. بل لعلها يا لثارات الحسين وأهل بيته وأصحابه. وعلى العموم فحركة المختار كانت تريد أن تستوعب كل من يمت إلى الحسين(ع) بصلة وخاصة جميع من قُتل في واقعة الطفّ بل تشمل مسلماً وهانياً أيضاً. ولا ينبغي أن ننسى أن مسلم بن عقيل له مع

المختار تاريخ لأنه نزل في داره في أول حركته. ومن المستحيل أن ينسى المختار كل هذا التاريخ. ومما يؤكد ذلك إن الذين قتلهم المختار لم يشاركوا جميعهم في قتل الحسين (ع) فقط ، بل شاركوا في قتل أهله وأصحابه أيضاً كما ذكرنا سابقاً، والله أعلم.

ولاية مصعب بن الزبير البصرة

وفي سنة سبع وستين عزل عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة - وهو القباع - عن البصرة واستعمل عليها أخاه مصعباً، فقدمها مصعب متلثماً ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس: أمير أمير، وجاء الحرث بن أبي ربيعة وهو الأمير فسفر مصعب لثامه فعرفوه، وأمر مصعب الحرث بالصعود إليه فأجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون - إلى قوله - من المفسدين ﴾[1] فأشار بيده نحو الشام: ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم

---

(١) القصص ١

أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[١] وأشار نحو الحجاز: ﴿ ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾[٢] وأشار نحو الكوفة فقال: يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي بالجزار .

---

(١) القصص ٥

(٢) القصص ٦

مسير مصعب إلى المختار وقتل المختار

ولما هرب أشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم إلى مصعب فأتاه شبث بن ربعي على بغلة قد قطع ذنبها وطرّف أذنها وشقّ قباءه وهو ينادي: يا غوثاه فرفع خبره إلى مصعب فقال: هذا شبث بن ربعي فادخل عليه فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم وقدم عليه محمد بن الأشعث أيضاً واستحثّه على المسير فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه، وقال لأهل الكوفة حين أكثروا عليه: لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة وكتب إليه - وهو عامله على فارس- يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار فأبطأ المهلب واعتل بشيء من الخراج لكراهية الخروج، فأمر مصعب محمد بن الأشعث أن يأتي المهلب يستحثه، فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب فلما قرأه

قال له: أما وجد مصعب بريداً غيرك؟ فقال: ما أنا بريد لأحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبتنا عليهم عبيدنا، فأقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة، وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الأكبر وأرسل عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة فأمره أن يخرج إليه من قدر عليه وأن يثبط الناس عن المختار ويدعوهم إلى بيعة ابن الزبير سراً ففعل ودخل بيته مستتراً.

ثم سار مصعب فقدّم أمامه عباد بن الحصين الحطمي[1] التميمي، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته، والمهلب على ميسرته، وجعل مالك بن مسمع على بكر، ومالك بن المنذر على عبد القيس، والأحنف بن قيس على تميم، وزياد بن عمرو العتكي على الأزد، وقيس بن الهيثم على أهل العالية، وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه فأعلمهم ذلك وندبهم إلى الخروج مع أحمر بن شميط فخرج وعسكر بحمام أعين، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميط فسار وعلى مقدمته ابن كامل الشاكري فوصلوا إلى المذار. وأتى مصعب فعسكر قريباً منه، وعبى كل واحد منهما جنده ثم تزاحفا، فجعل ابن شميط ابن كامل

---

(١) في الطبري «الحبطي»

على ميمنته، وعلى الميسرة عبد الله بن وهيب الجشمي، وجعل أبا عمرة مولى عرينة على الموالي، فجاء عبد الله بن وهيب الجشمي إلى ابن شميط فقال له: إن الموالى والعبيد أولو فجور عند المصدوقة وإن معهم رجالاً كثيراً على الخيل وأنت تمشي فمرهم فليمشوا معك فإني أتخوّف أن يطيروا عليها ويسلموك وكان هذا غشاً منه للموالي لما كان لقي منهم بالكوفة فأحب إن كانت عليهم الهزيمة أن لا ينجو منهم أحد- فلم يتهمه ابن شميط ففعل ما أشار به فنزل الموالي معه. وجاء مصعب وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فدنا عباد من أحمر وأصحابه وقال: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله وإلى بيعة المختار وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول.

فرجع عباد فأخبر مصعباً فقال له: ارجع فاحمل عليهم فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه فلم ينزل[1] منهم أحد ثم انصرف إلى موقفه، وحمل المهلب على ابن كامل فجال بعضهم في بعض فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب، ثم قال المهلب لأصحابه: كروا عليهم كرة صادقة فحملوا عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل في رجال من همدان ساعة ثم انهزم، وحمل عمر بن عبيد الله على

---

(١) في الطبري «فلم يزل»

عبد الله بن أنس فصبر ساعة ثم انصرف، وحمل الناس جميعاً على ابن شميط فقاتل حتى قتل، وتنادوا يا معشر بجيلة، وخثعم الصبر، فناداهم المهلب الفرار اليوم أنجى لكم، علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد؟ ثم قال: والله ما أرى كثرة القتل اليوم إلا في قومي. ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فانهزمت، وبعث مصعب عباداً على الخيل فقال: أيما أسير أخذته فأضرب عنقه، وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة فقال: دونكم ثأركم فكانوا أشد على المنهزمين من أهل البصرة لا يدركون منهزماً إلا قتلوه ولا يأخذون أسيراً إلا يعفون عنه، فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة أصحاب الخيل أما الرجالة فأبيدوا إلا قليلاً، قال معاوية بن قرة المزني، انتهيت إلى رجل منهم فأدخلت السنان في عينه فأخذت أخضخض عينه به فقيل له: أفعلت هذا؟ فقال: نعم إنهم كانوا عندنا أحل دماء من الترك، والديلم، وكان معاوية هذا قاضي البصرة فلما فرغ مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط ولم تكن بنيت بعد فأخذ في كسكر، ثم حمل الرجال أثقالهم والضعفاء في السفن فأخذوا في نهر خرشاد، ثم خرجوا إلى نهر قوسان ثم خرجوا إلى الفرات، وأتى المختار خبر الهزيمة ومن قتل بها من فرسان أصحابه

فقال: ما من الموت بدّ، وما من ميتة أموتها أحب إلي من أن أموت ميتة ابن شميط، فعلموا أنه إن لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل، ولما بلغه أن مصعباً قد أقبل إليه في البر والبحر سار حتى وصل السلحين[١] ونظر إلى مجتمع الأنهار نهر الخريرة، ونهر السلحين، ونهر القادسية ونهر رسف، فسكر الفرات فذهب ماؤها في هذه الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين، فلما رؤا ذلك خرجوا من السفن إلى ذلك السكر فأصلحوه وقصدوا الكوفة، وسار المختار إليهم فنزل حرواء وحال بينهم وبين الكوفة وكان قد حصن القصر والمسجد وأدخل إليه عدة الحصار، وأقبل مصعب وقد جعل على ميمنته المهلب، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله، وعلى الخيل عباد بن الحصين، وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندي، وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني، وعلى الخيل عمرو بن عبد الله[٢] النهدي، وعلى الرجالة مالك بن عبد الله النهدي.

وأقبل محمد بن الأشعث فيمن هرب من أهل الكوفة فنزل بين مصعب والمختار فلما رأى ذلك المختار بعث إلى كل جيش من اهل

---

(١) في الطبري «السيليحين»

(٢) في الطبري «عمر بن عبد الله» بدون واو.

البصرة رجلاً من أصحابه وتدانى الناس، فحمل سعيد بن منقذ على بكر، وعبد القيس وهم في ميمنة مصعب فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأرسل مصعب إلى المهلب ليحمل على مَنْ بإزائه فقال: ما كنت لأجزر الأزد خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي وبعث المختار إلى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي فحمل على من بازائه وهم أهل العالية فكشفهم فإنتبهوا إلى مصعب، فجثا مصعب على ركبتيه وبرك الناس عنده فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ثم أنّ المهلب حمل في أصحابه على مَن بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم.

وقال عبد الله بن عمرو النهدي -وكان ممن شهد صفين- اللهم إني على ما كنت عليه بصفين اللهم أبرأ إليك من فعل هؤلاء لأصحابه وأبرأ إليك من أنفس هؤلاء -يعني أصحاب مصعب- ثم جالد بسيفه حتى قُتل، وإنقضت أصحاب المختار كأنهم أجمة قصب فيها نار، وحمل مالك بن عبد الله النهدي وهو على الرحالة ومعه نحو خمسين رجلاً وذلك عند المساء على اصحاب إبن الأشعث حملة منكرة فقتل إبن الأشعث وقتل عامة أصحابه، وقاتل المختار على فم سكة شبث عامة ليلته وقاتل معه رجال من أهل البأس، وقاتلت معه

همدان أشد قتال، وتفرق الناس عن المختار فقال له مَن معه: أيها الأمير إذهب إلى القصر فجاء حتى دخله فقال له بعض أصحابه: ألم تكن وعدتنا الظفر وإنا سنهزمهم؟ فقال: أما قرأت في كتاب الله تعالى: ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾[1]. فلما أصبح مصعب أقبل يسير فيمن معه نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب: يا له فتحاً ما أهناه لو لم يُقتل محمد بن الأشعث قال: صدقت، ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وقاتلهم المختار وأصحابه قتالاً ضعيفاً، وإجترأ الناس عليهم فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت وصبوا عليهم الماء القذر. وكان أكثر معاشهم من النساء تأتي المرأة متخفية معها القليل من الطعام والشراب إلى أهلها ففطن مصعب بالنساء فمنعهن فإشتد على المختار وأصحابه العطش، وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك ما يروي بعضهم. ثمّ إنّ مصعباً أمر أصحابه فإقتربوا من القصر وإشتد الحصار عليهم فقال لهم المختار: ويلكم إنّ الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً فإنزلوا بنا فنقاتل حتى نُقتل كراماً

---

(١) سورة الرعد -٣٩.

إنّ نحن قتلنا فوالله ما أنا بآيس إنْ صدقتموهم أنْ ينصركم الله فضعفوا ولم يفعلوا، فقال لهم: أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم وثبت أعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر إلى بعض فتقولون: يا ليتنا أطعنا المختار، ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر متم كراماً، فلما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلّى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاختفى عندهم سراً، ثم إن المختار تطيب وتحنّط وخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً منهم السائب بن مالك الأشعري وكانت تحته عمرة بنت أبي موسى الأشعري فولدت له غلاماً اسمه محمد؛ فلما أخذ القصر وجد صبياً فتركوه- فلما خرج المختار قال للسائب: ماذا ترى؟ قال: ما ترى أنت؟ قال: ويحك يا أحمق إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ومروان بالشام وكنت فيها كأحدهم إلا إني قد طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك إن لم يكن لك نية، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي.

ثمّ تقدّم المختار فقاتل حتى قتل، إذ قتله رجلان من بني حنيفة

أخوان أحدهما طرفة والآخر طراف أبنا عبد الله بن دجاجة، فلما كان الغد من قتله دعاهم بحير بن عبد الله المسكي[١] ومَنْ معه بالقصر إلى ما دعاهم المختار فأبوا عليه وأمكنوا أصحاب مصعب من أفنهم ونزلوا على حكمه

فأخرجوهم مكتفين فأراد إطلاق العرب وقتل الموالي فأبى أصحابه عليه فأمر بقتله وعرض عليه بحير المسكي فقال لمصعب: الحمد الله الذي إبتلانا بالأسر وإبتلاك بأنْ تعفو عنا هما منزلتان إحدهما رضا الله والأخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزاً ومن عاقب لم يأمن القصاص، يا إبن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تركاً ولا ديلما، فإنما خالفنا إخواننا من أهل مصرنا[٢] فإما أنْ يكن أصبنا أو أخطأنا فإقتتلنا بيننا كما إقتتل أهل الشام بينهم ثم إجتمعوا وكما إقتتل أهل البصرة وإصطلحوا وإجتمعوا وقد ملكتم فإسجحوا[٣] وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول حتى رقّ

---

(١) في الطبري «بجير بن عبد الله المسلي» بجير بالجيم لا بالحاء المهملة، والمسلي باللام لا بالكاف.

(٢) في الطبري «فإن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا فإما أنْ نكون أصبنا وأخطأوا وإما أنْ نكون أخطأنا وأصابوا».

(٣) يُقال لمن ظهر وملك «فإسجح» أي قدرتَ فسهلْ وأحسن العفو، وهو مثل سائر.

لهم الناس ومصعب وأراد أنْ يخلي سبيله، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: أتخلي سبيلهم إخترنا أو إخترهم، وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فقال مثله وقام أشراف الكوفة فقالوا مثلهما فأمر بقتلهم، فقالوا له: يا إبن الزبير لا تقتلنا واجعلنا على مقدمتك إلى أهل الشام غداً فما بكم عنا غنى فإن قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم وإنْ ظفرنا بهم كان ذلك لكم فأبى عليهم، فقال بحير المسكي: لا تخلط دمي بدمائهم إذ عصوني فقتلهم، وقال مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي: ما تقول يا إبن الزبير لربك غداً وقتلت أمة من المسلمين حكموك في أنفسهم صبراً؟ إقتلوا منا بعدة من قتلنا منك ففينا رجال لم يشهدوا موطناً من حربنا يوماً واحداً كانوا في السواد، وجباية الخراج، وحفظ الطرف فلم يسمع منه وأمر بقتله، ولما أراد قتلهم إستشار أهل الكوفة: أقتلهم وضجوا فقتلهما فلما قتلوا قال الأحنف: ما أدركتم بقتلهم ثاراً فليته لا يكون في الآخرة وبالا.

وبعثت عائشة بنت طلحة إمراة مصعب إليه في إطلاقهم فوجدهم الرسول قد قتلوا، وأمر مصعب بكف المختار بن أبي عبيدة فقطعت وسمرت بمسمار إلى جانب المسجد فبقيت حتى قدم

الحجاج فنظر إليها وسأل عنها فقيل: هذا كف المختار فأمر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول له: إنْ أطعتني فلك الشام وأعنة الخيل، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وأعطاه عهد الله على ذلك، وكتب عبد الملك بن مروان إلى إبن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول: إنْ أنت أجبتني فلك العراق. فإستشار إبراهيم أصحابه فإختلفوا، فقال إبراهيم: لو لم أكن أصبت إبن زياد، وأشراف الشام لأجبت عبد الملك مع أني لا أختار على أهل مصري وعشيرتي غيرهم، فكتب إلى مصعب بالدخول معه، فكتب إليه مصعب أنْ أقبل، فأقبل إليه بالطاعة.

فلمّا بلغ مصعباً إقباله بعث المهلب على عمله بالموصل، والجزيرة وأرمينية، وأذربيجان، ثم إنْ مصعباً دعا أم ثابت بنت سمرة، جندب إمرأة المختار، وعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية إمرأته الأخرى فأحضرهما وسألهما عن المختار، فقالت أم ثابت: نقول فيه بقولك أنت، فأطلقها، فقالت: عمرة رحمه الله كان عبداً لله صالحاً، فحبسها، وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير أنها تزعم أنهُ نبي، فأمره بقتلها، فقتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة، قتلها بعض الشرط،

ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول: يا أبتاه، يا عثرتاه، فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال: يا إبن الزانية عذبتها، ثمّ تشحطت فماتت (رحمها اللّه)، فتعلّق الشرطي بالرجل، وحمله إلى مصعب فقال: خلوه فقد رأى أمراً فظيعاً[1]، فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي في ذلك:

إنّ مــن أعجب العجائب عندي
قــتل بيضاء حُــرة عُطبولِ
قُتلت هكذا عـلى غــير جـرمٍ
إن لله درّهــا مـــن قـــتيلِ
كــتب القتيل والــقتال عـلينا
وعـــلى المحصنات جر الذيولِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان ثابت الأنصاري في ذلك

(١) إنما رفع الشرطي أمره إلى مصعب ليقيم الحد عليه إذا قال له -يا إبن الزانية- وقال إنّ أمي مسلمة وكانت مولى لنبي قفل وإستشهدهم على إسلام أمه فلم يشهدوا ولذلك خلى مصعب عن القاذف.

أيضاً:

أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب
بقتل ابنةِ النعمان ذي الدين والحسب
بقتل فتاةٍ ذاتِ دلٍّ ستيرةٍ
مهذّبة الأخلاق والخِيم[1] والنّسب
مطهرةٍ من نسل قوم أكارم
من المؤثرين الخير في سالف الحقب
خليل النبي المصطفى ونصيره
وصحابه في الحرب والضرب والكُرب[2]
أتاني بأن الملحدين توافقوا
على قتلها لا أحسنوا[3] القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشة
وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب

---

(١) في الأصل «في المخيم».

(٢) في الطبري «والنكب والكرب».

(٣) في الطبري « لا جنبوا»

كأنهم إذ أبــرزوهـــا وقطّعت

بأسيافهم فازوا بمــملكة الــعرب

ألم تعجب الأقـــوام من قتل حرةٍ

مــن المحصنات الدين محمودة الأدب

من الغافلات المؤمنات بـــــرئية

مــن الذمِّ والبهتان والشكِّ والـكذب

علينا ديات[١] القتل والبأس واجبٌ

وهنّ العفاف في الحجال وفي الحُجب

على ديــن أجــداد لــــها وأبوة

كرام مضت لم تُخزِ على جارها الجُنب

مـــن الخفرات لا خـــروج بزنة

ولا دمة تنعى[٢] على جــارها الجُنب

ولا الجار ذي القربى ولم تدر ما الخنا

ولم تزدلف يــوماً بــسوء ولم تجب

---

(١) في الطبري «علينا كتاب»

(٢) في الطبري «ملائمة تبغي».

عجبت لها إذ كُفّنت[١] وهي حيّةٌ

ألا إنّ هذه الخطب من أعجبِ العجب.

وقيل: إنّ المختار إنما أظهر الخلاف لإبن الزبير عند قدوم مصعب البصرة، وإنّ مصعباً لما سار إليه فبلغه مسيره أرسل إليه أحمر بن شميط وأمره أنْ يواقعه بالمذار وقال: إنّ الفتح بالمذار لأنه بلغه أنّ رجلاً من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظنّ أنه هو، وإنما كان ذلك للحجاج في قتال عبد الرحمن بن الأشعث وأمر مصعب عباداً الحطمي[٢] بالمسير إلى جمع المختار فتقدّم وتقدّم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وبقي مصعب على نهر البصرين، وخرج المختار في عشرين ألفاً. وزحف مصعب ومَن معه فوافوه مع الليل فقال المختار لأصحابه: لا يبرحن أحد منكم حتى يسمع منادياً ينادي يا محمد فإذا سمعتوه فاحملوا فلما طلع القمر أمر منادياً فنادى يا محمد فحملوا على أصحاب مصعب فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا . وأصبح

---

(١) في الطبري «إذ كفنت».

(٢) في الطبري «الحبطي».

المختار وليس عنده أحد وأصحابه قد أوغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزماً حتى دخل قصر الكوفة حين أصبحوا فوقفوا ملياً فلم يروا المختار فقالوا : قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب فاختفوا بدور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف فوجدوا المختار في القصر فدخلوا عليه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مصعب خلقاً كثيراً منهم محمد بن الأشعث ، وأقبل مصعب فأحاط بالقصر وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة . فلما قتل بعث من في القصر يطلب الأمان فأبى مصعب فنزلوا على حكمه فقتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم.

وكان عدة القتلى ستة آلاف رجل ولما قتل المختار كان عمره سبعاً وستين سنة. وكان قتله لأربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين ، قيل : إن مصعباً لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له : أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر : أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدا لك : فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة فجرة ، فقال : والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً : وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : ألم يبلغك قتل

الكذاب ؟ قال : ومن الكذاب ؟ قال : ابن أبي عبيد قال : قد بلغني قتل المختار قال : كأنك نكرت تسميته كذاباً ومتوجع له قال : ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة ، وقال عروة بن الزبير لابن عباس : قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه ، فقال ابن عباس : قد بقيت لكم عقبة كؤود فإن صعدتموها فأنتم وإلا فلا - يعني عبد الملك بن مروان - وكانت هدايا المختار تأتي ابن عمر ، وابن الحنفية فيقبلانها ، وقيل : رد ابن عمر هديته.

عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزبير

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً عن العراق بعد أن قتل المختار وولى مكانه ابنة حمزة بن عبد الله , وكان حمزة جواداً مخلطاً يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله , وظهر منه بالبصرة خفة وضعف فيقال : إنه ركب يوماً فرأى فيض البصرة فقال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينهم ضيعتهم[1] فلما كان بعد ذلك رآه جازراً فقال : قد قلت لو رفقوا به لكفاهم وظهر منه غير ذلك فكتب الأحنف إلى أبيه وسأله أن يعزله عنهم ويعيد مصعباً فعزله فاحتمل مالاً كثيراً من مال البصرة

---

(١) في الطبري «صيفهم»

فعرض له مالك بن مسمع فقال له : لا ندعك تخرج بعطايانا فضمن له عبيد الله بن عبد الله العطاء فكف عنه وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فأودعه رجالٌ فجحدوه إلا رجلاً واحداً فوفى له وبلغ ذلك أباه فقال : أبعده الله أردت أن أباهي به بني مروان فنكض ، وقيل : إن مصعباً أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولاً عن البصرة عزله أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنة حمزة . ثم إن مصعباً وفد على أخيه عبد الله فردة على البصرة ، وقيل : بل انصرف مصعب إلى البصرة بعد قتل المختار واستعمل على الكوفة الحرث بن أبي ربيعة فكانتا في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنة حمزة ثم عزل حمزة الأحنف بكتاب الأحنف وأهل البصرة ورد مصعباً.

الخاتمة

إنّ من صفات الله تعالى العدل، فلذلك جعل يومَ المعاد يوماً للجزاء ولإحقاق الحق وإنّ الله تعالى يُمهل ولا يُهمل فإنْ لم ينتقم لعباده الصلحاء في دار الدُنيا فهو مقتص لهم من خصومهم في الآخر وأنه ناصرٌ مؤيدٌ لعباده الصالحين.

فقد روي أنّ قوم نبي الله صالح قد عقروا ناقته فأنزل الله عذابه الرباني عليهم بعد ثلاثة أيام فعقروها فقال ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعدٌ غير مكذوب﴾[1].

عقروا ناقة نبيهم فأنزل غضبه عليهم منصراً لنبيه، فكيف لا ينصُر مَن يُنبري للثأر من قتلة أولاد الأنبياء والأوصياء .. وهو ينتقم لمن ضحى بدمه وآل بيته وأولاده من أجل بسط شريعة الله على

---

(١) (هود/٦٥)

الأرض والحُكم بدستوره..

إنّ الله غضب للإمام الحسين(ع) فكسفت الشمس لمصرعه ومطرت السماء دماً عبيطاً .. وكادت الأرض أنْ تميد بأهلها وإشتد غضبه على البُغاة العصاة يوم رفعوا رؤوس آل البيت على أسنة الرماح يطوفون بهم البلدان وسبي بنات وحفيدات المصطفى نكاية بآل محمد الذي هدم أصنامهم وقتل رجالهم العتاة البُغاة الخارجين عن إرادة السماء.

عن الأسدي قال: أتيت كربلاء لأبيع التمر بها، فعمل لنا شيخ طيء طعاماً، فتعشينا عنده، فذكرنا قتل الحسين(ع)، فقلت: ما شرِك أحدٌ في قتل الحسين إلاّ مات بأسوأ ميتة. قال: ما أكذبكم يا أهل العراق! أنا ممّن شرِك في ذلك. فلم يبرح حتى دنا المصباح وهو متقد بنفط، فذهب يُخرج الفتيلة بأصبعه، فأخذت النار فيها، فذهب يُطفئها بريقه، فأخذت النار في لحيته، فغدا فألقى نفسه في الماء فرأيته كأنه حُممة [1].

وعن أبي رجاء العطاردي أنه كان يقول لا تسبوا علياً ولا أهل بيت

---

(١) تاريخ مدينة دمشق/الجزء ١٤ صفحة ٢٣١.

النبي(ص)، إنّ جاراً لنا من بني الهُجيم قدم من الكوفة فقال: ألم تروا هذا الفاسق إبن الفاسق، إنّ الله قتله خيعني الحسين(ع)- فرماهُ الله بكوكبين في عينيه وطمس الله بصره، قال أبو رجاء: فأنا رأيته-لعنه الله-[١].

وعن هشام بن الكلبي عن أبيه قال: كان رجل يُقال له: زُرعة شهد قتل الحسين(ع) فرمى الحسين بسهم فأصاب حنكه وكان الحسين دعا بماء ليشرب، فرماه، فحال بينه وبين الماء، فقال: اللهم أظمئه. قال: فحدثني مَنْ شهد موته وهو يصيح من الحرِّ في بطنه ومن البرد في ظهره وبين يديه الثلج والمراوح وهو يقول: أسقوني، أهلكني العطش، فيؤتى بالعُسِّ العظيم فيه السويق والماء واللبن، لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه ثم يعود فيقول: إسقوني، أهلكني العطش. قال: فأنقدّ بطنه كإنقداد البعير[٢].

عن أبي محمد الهلالي قال: شرك منّا رجلان في دم الحسين بن علي(ع) فأما أحدهما فإبتلى بالعطش فكان لو شرب راوية ما روى[٣].

---

(١) تاريخ الخلفاء/صفحة٢٠٧.

(٢) كفاية الطالب/صفحة٣٩١.

(٣) ذخائر العقبى/صفحة٢٤٧.

وعن أبي زُرعة بسنده قال: جاء رجل يُبشر الناس بقتل الحسين، فرأيته أعمى يُقاد[١].

قال الحجاج: مَن كان له بلاء فليقم، فقام قوم يذكروا، وقام سنان بن أنس على قول- فقال: أنا قاتل حسين، فقال: بلاء حسن ورجع إلى منزله، فأعتقل لسانه وذهب عقله، فكان يأكل ويُحدّث في مكانه[٢].

وقال الأعشمي: أحدث رجل من أهل الشام على قبر الحسين بن علي، فأبرص من ساعته[٣].

وعنه أيضاً قال: تغوط رجل من بني أسد على قبر الحسين بن علي، قال: فأصاب أهل ذلك البيت خبل وجنون وجذام ومرض وفقر[٤].

وروى سبط بن الجوزي: أنّ شخصاً علّق رأس الحسين(ع) في لبب فرسه فشوهد بعد أيام ووجهه أشدّ سواداً من القار ومات على

(١) تهذيب الكمال/الجزء٦ صفحة ٤٣٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق/الجزء ١٤ صفحة ٢٣١.

(٣) نفس المصدر/صفحة٢٤٤.

(٤) تهذيب الكمال/ الجزء ٦ صفحة ٤٤٤.

أقبح حالة. ويُقال: إنّ رجلاً أنكر ذلك فوثبت النار على جسده فحرقته.

وعن الزهري أنه لم يبقَ أحد ممّن قتل الحسين إلاّ عوقب في الدنيا قبل الآخرة، إما بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة، أو زوال المُلك في مدة يسيرة(١).

تمّ بعونه تعالى.......

الشيخ ماجد الزبيدي

---

(١) نور الأبصار/ صفحة ٢٣٣.

الفهرس

الموضوع — الصفحة

والحمد لله رب العالمين